

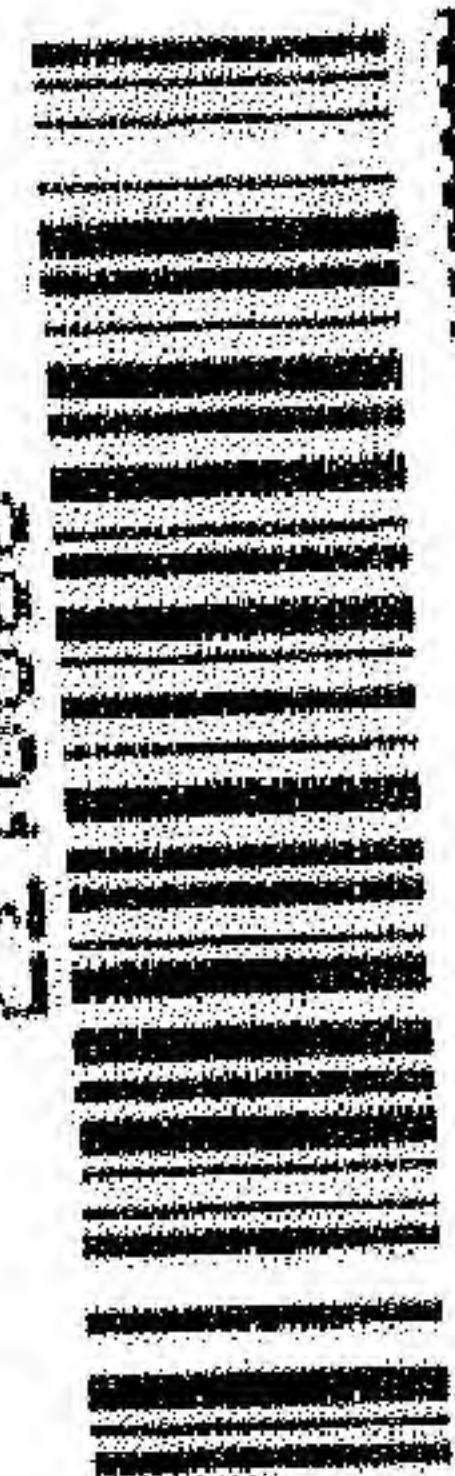
قطاع الثقافة

رمضان والصيام

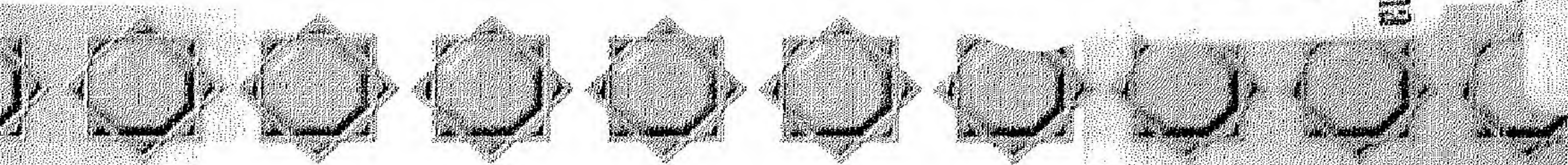
الشيخ محمد الفزالي
د. محمد سيد طنطاوي
د. أحمد عمر هاشم



Bibliotheca Alexandrina



9998157



رمضان والصيام

الشيخ محمد الفزالي
د. محمد سيد طنطاوي
د. أحمد عمر هاشم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ

عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴿



الغلاف بريشة : سيد عبدالفتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الصيام عبادة هدفها الأكبر تحرير ارادة الانسان ، وجعلها تبعا لأوامر الله تعالى ، لا لرغائب النفس ، والإرادة المحررة تعنى الفرق الهائل ، ليس بين الحر والمستعبد ، ولكن بين الانسان والحيوان !!

فالحيوانات تفعل ما تحب وتدع ما يضايقها ، والمسافة بين شهوتها وعزيمتها معدومة .. بل لا عزيمة هناك .. ولا صراع بين شهوات وواجبات ..

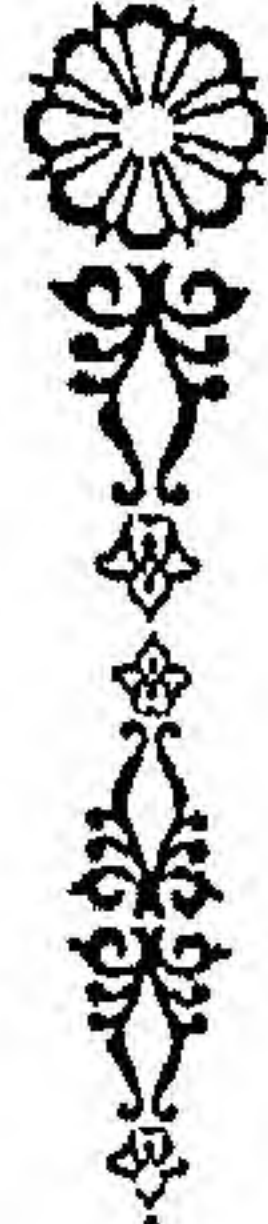
أما الانسان عندما يتغلب رشده ، فإن عقله يكون حاكما لرغائبه ، وإلا فهو الى الحيوانات أدنى ..

والصيام عن الشهوات ليس فارقا بين الانسان والحيوانات فحسب ، بل هو فارق بين الناجحين من الناس والفاشلين .. فالنجاح فى كل شىء ، هو قدرة على تحمل الشدائد ، وصبر على الصعاب . وقد شرع الاسلام الصيام للناس كى يمنحهم القدرة على قيادة شهواتهم لا الانقياد لها ..

وهذا الكتاب رحلة مع الصيام - ميمونة الغدوات ، مباركة الروححات - يقوم بها ثلاثة من كبار العلماء والمفكرين هم : فضيلة العالم الجليل الشيخ محمد الغزالى ، والدكتور محمد سيد طنطاوى مفتى الجمهورية ، والدكتور أحمد عمر هاشم أستاذ مادة الحديث الشريف ونائب رئيس جامعة الأزهر ..

ان العلماء الأجلاء الثلاثة ، وقد عايشوا فى رحلتهم هذه : القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ، والسيرة النبوية الشريفة ، غادوا منها ليتحدثوا عنها فى هذا الكتاب .. الذى نقدمه هدية للشهر الفضيل .. وتحية للقارىء الكريم .

[مكتبة أخبار اليوم الاسلامية]



في ضوء القرآن الكريم:

- الصيام لغة .. وشرعا
- رخصة .. للمريض والمسافر
- أول ما نزل من القرآن
- حالة .. من حالات ثلاث
- جانب .. من مظاهر الرحمة
- من أحكام الصيام
- اختلاف .. المطالع
- حكمة مشروعية الصيام
- الأعذار المبيحة للفطر

يكتب هذا الفصل:

د. محمد سيد طنطاوى



﴿ الصيام .. لغة وشرعا .. ﴾

في سورة البقرة آيات كريمة ، تحدثت عن فضيلة الصيام حديثا جامعا حكيمًا ، وهذه الآيات هي قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى
الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ
فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ
وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا
فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾
شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِّنكُمُ الشَّهْرَ
فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ
أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ
وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِن سَأَلْتُم عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ

يُرْشِدُونَ ﴿١٨٧﴾ أَجَلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ
هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ
أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ
وَابْتَغُوا مَآ كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ
يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ
اتَّمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ الْيَلِّ وَلَا تَبْشِرُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُونَ
فِي الْمَسْجِدِ نِلَاكَ حُدُودِ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴿١٨٧﴾

(سورة البقرة ٢)

افتتحت هذه الآيات الكريمة ، ببناء المؤمنين بصفة
الايان ، لتحريك حرارة العقيدة في قلوبهم ، ولخصهم على
الاستجابة لما سيكلفون به من أحكام ، لأن من شأن المؤمن
الحق ، أن يطيع الله - تعالى - في كل ما يأمره به ، وفي كل
ما ينهاه عنه .

والمراد هنا بقوله « كُتِبَ » : الفرضية ، لأن صيام شهر
رمضان من أركان الاسلام .

والصيام : مصدر كالقيام . وهو في اللغة معناه : الإمساك
وترك التنقل من حال الى حال . فيقال للصمت صوم ، لأنه
إمساك عن الكلام ، ومن قوله - تعالى - حكاية عن مريم :
« إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا » أي : إني
نذرت للرحمن أن أسكت عن الكلام ، فلن أكلم اليوم أحدا
من الناس .

أما الصيام في عرف الشرع : فهو - كما يقول الامام
الألوسي - : إمساك عن أشياء مخصوصة ، على وجه
مخصوص ، في زمان مخصوص ، ممن هو على صفات
مخصوصة .

والتشبيه في قوله - تعالى - « كما كتب على الذين من قبلكم »
راجع إلى أصل إيجاب الصوم وفرضيته .

أى : أن عبادة الصوم كانت مكتوبة ومفروضة على الأمم
السابقة ، ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله - تعالى - ، إذ لم يرد
نص صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يبين لنا
فيه ، كيف كان صيام الأمم السابقة على الأمة الإسلامية .
وما يدل على أن الصيام كان مفروضاً على الأمم السابقة
ولكن بكيفية لا يعلمها إلا الله ، وقوله - تعالى - حكاية عن
عيسى - عليه السلام - « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني
نبياً . وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة
مادمت حياة . . . »

﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٢٠﴾ وَجَعَلَنِي
مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
مَادُمْتُ حَيًّا ﴿٢١﴾ ﴾

[سورة مريم]

وقيل : إن التشبيه راجع الى وقت الصوم وقدره ، فقد
روى عن مجاهد أنه قال : كتب الله - تعالى - صوم شهر رمضان
على كل أمة .

وهذا القول ليس له دليل يعتمد عليه . ولذا قال المحققون
من العلماء : المقطوع به أن التشبيه في الفرضية خاصة ، وسائر
الوجوه التي قيلت غير ذلك ، إنما هي مجرد احتمال .

ومن فوائد هذا التشبيه في قوله - تعالى - « كما كتب على الذين من قبلكم » : الاهتمام بشأن هذه العبادة ، والتنويه بعلو شأنها ، إذ شرعها - سبحانه - للأمة الاسلامية وللأمم السابقة عليها ، وهذا يقتضى وفرة ثوابها ، ودوام صلاحها .

كذلك من فوائده : تسهيل هذه العبادة على المسلمين ، لأن الشيء الشاق تخف حدته على الانسان ، عندما يعلم أن غيره قد أداه من قبله .

والفائدة الثالثة من فوائد هذا التشبيه : إثارة الهمم والعزائم للنهوض بهذه الفريضة ، حتى لا يكون المسلمون مقصرين في أدائها ، بل يجب عليهم أن يؤدوها بقوة تفوق من سبقهم ، لأن الأمة الاسلامية قد وصفها - سبحانه - بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وهذه الخيرية تقتضى منهم النشاط فيما كلفهم الله بأدائه من عبادات .



وقوله - تعالى - : « لعلكم تتقون » : جملة تعليلية ، جىء بها لبيان حكمة مشروعية الصيام . فكأنه - عز وجل - يقول لعباده :

فرضنا عليكم الصيام ، كما فرضناه على الذين من قبلكم ، بسبب أدائكم لهذه الفريضة ، تناولون درجة التقوى والخشية من الله - تعالى - ، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ولاشك أن هذه الفريضة ، ترتفع بالمؤمنين الى أعلى عليين ، متى أدوها بأدائها وشروطها ، ويكفى أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد قال في شأن الصوم : « الصوم جنة » . أى : وقاية . إذ في الصوم وقاية من الوقوع في المعاصي ، ووقاية من عذاب الآخرة ، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة عن الإفراط في تناول الأطعمة والأشربة .

وقوله - سبحانه - : « أياما معدودات » : أى : معينات بالعد . أو : قليلات ، لأن الشيء القليل يسهل عده فيعد ، أما الشيء الكثير فيصعب عده فيؤخذ جزافا . والمراد بهذه الأيام المعدودات : شهر رمضان عند جمهور العلماء . قالوا : وتقريره أنه - سبحانه - : قال أولا كُتب عليكم الصيام ، وهذا محتمل ليوم ويومين ، ثم بينه بقوله تعالى : « أياما معدودات » ، فزال هذا الاحتمال ، ثم بينه بقوله سبحانه : « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » .

فعلى هذا التركيب يمكن جعل الأيام المعدودات بعينها شهر رمضان ، وإذا أمكن ذلك - كما يقول الامام الألوسى - فلا وجه لحملة على غيره .

وإنما عبر عن شهر رمضان بقوله « أيام » وهى جمع قلة ، ووصف بمعدودات وهى جمع قلة - أيضا - ، تهوينا لأمره على المكلفين ، وإشعارا لهم بأن الله - تعالى - ما فرض عليهم إلا ما هو فى وسعهم وقدرتهم .

وقيل : إن المراد بالأيام المعدودات : غير رمضان . وذكروا أن المراد بها : ثلاثة أيام من كل شهر ، وهى الأيام البيض : الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر ، مضافا إليها يوم عاشوراء ثم نسخ ذلك بوجوب صيام شهر رمضان . والمعتمد عند المحققين من العلماء ، هو القول الأول ، لأنه - كما قال الامام الفخر الرازى - لا وجه لحملة على غيره . وقوله « أياما » : منصوب على الظرفية ، أو بفعل مضمّر مقدر . أى صوموا أياما .



❖ رخصة .. للمريض والمسافر ❖

وقوله - تعالى - : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » : زيادة بيان ليسر الشريعة الاسلامية : بعد أن أخبرهم - عز وجل - بأن الصوم المفروض عليهم إنما هو أيام معدودات ، وتعجيل بتطمين نفوس السامعين لئلا يظنوا وجوب الصوم عليهم في كل حال .

والمرض : الخروج عن حدود الاعتدال الخاص بالانسان ، بأن يصاب بانحراف في جسده يجعله في حالة وجع أو اضطراب بدني .

قال القرطبي - رحمه الله - : وللمريض حالتان : .
إحداها : ألا يطيق الصوم بحال ، فعليه الفطر واجبا .
الثانية : أن يقدر على الصوم بضرر ومشقة ، فهذا يستحب له الفطر . . .

فالفطر مباح في كل مرض ، إلا المرض اليسير الذي لا كلفة معه في الصيام .

قال بعض العلماء : وقوله - تعالى - : « أو على سفر » ، أى : أو كان بحالة سفر . وأصل كلمة « على » أنها تدل على الاستعلاء ، ثم استعملت مجازا في التمكن من الشيء ، ثم شاع في كلام العرب أن يقولوا : فلان على سفر ، أى : مسافر ، ليكون نصا في التلبس بالسفر ، فنبه الله - تعالى - بهذا اللفظ المستعمل في التلبس بالفعل - على أن المسافر لا يفطر ، حتى يأخذ في السير في السفر ، دون مجرد النية . . . » .

والعدة : فعله من العد ، وهى بمعنى المعدود ، ومنه عدة المرأة .

والمعنى : لقد فرضنا عليكم الصوم - أيها المؤمنون - وجعلناه - كما هو الشأن فى كل ما كلفناكم به - متسما باليسر لا بالعسر ، ومن مظاهر ذلك : أننا فرضنا عليكم صوم أيام معدودات وهى أيام شهر رمضان ، ولم نفرض عليكم صوم الدهر كله . . .

وإننا - بمقتضى رحمتنا وإحساننا - قد شرعنا لمن كان مريضا مرضا يضره الصوم ، أو كان على سفر يشق معه الصوم ، شرعنا له أن يفطر ، وأن يصوم بدل الأيام التى أفطرها أياما آخر ، مساوية لها فى العدد .

هذا ، وقد نص الفقهاء على أن الإفطار مشروع على سبيل الرخصة للمريض والمسافر ، وهما بالخيار فى ذلك ، إن شاء أفطرا وإن شاء صاما ، إلا أن أكثر الفقهاء قالوا : الصوم أفضل لمن قوى عليه ، لقوله - تعالى - بعد ذلك « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » .



والذى نراه أن الله - تعالى - قد أباح الفطر فى رمضان ، بسبب المرض أو السفر ، لأن كلا منها مظنة المشقة والخرج . والحكم الشرعى يوجد حيث توجد مظنته ، وينتفى حيث تنتفى ، وعلى المسلم أن يقدر حال نفسه ، فإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره ليس فى الصوم معه مشقة أو عسر ، صام ، عملا بقوله - تعالى - : « وأن تصوموا خير لكم » .

وإذا أيقن أو غلب على ظنه أن مرضه أو سفره يجعل الصوم شاقا عليه ، أفطر ، عملا بقوله - تعالى - : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

فالمسألة ترجع الى ضمير الفرد ودينه واستفتاء قلبه .
والثابت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه صام في
السفر وأفطر ، وَخَيْرَ أَصْحَابِهِ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ ، فقد جاء في
الصحيحين - البخارى ومسلم - عن أبي الدرداء - رضى الله
عنه - قال : خرجنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في شهر
رمضان ، في يوم حار ، حتى ليضع الرجل يده على رأسه من
شدة الحر ، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي صلى الله عليه
وسلم ومن عبدالله بن رواحه .

وفي الصحيحين - أيضا - عن أنس بن مالك - رضى الله
عنه - قال : كنا نساغر مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم
يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم .
وأخرج الامام مسلم في صحيحه عن قزعة قال : أتيت
أبا سعيد الخدرى ، فسألته عن الصوم في السفر فقال : سافرنا
مع النبي - صلى الله عليه وسلم - الى مكة ونحن صيام ،
قال : فنزلنا منزلا ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :
« إنكم قد دنوتم من عدوكم ، والفطر أقوى لكم ، فكانت
رخصة ، فمننا من صام ، ومننا من أفطر . ثم نزلنا منزلا آخر
فقال : إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا .
وكانت عزيمة فأفطروا . ثم قال : ولقد رأيتنا نصوم مع رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك في السفر » .



وقوله - سبحانه - : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام
مسكين » : بيان لحكم آخر من أحكام الشريعة فيما يتعلق
بصوم رمضان ، يتجلى فيه تيسير الله على عباده فيما شرع لهم
من عبادات .

ومعنى « يطيقونه » يقدرون عليه ويتحملونه بمشقة
واضحة ، وتعب شديد ، لأن الطاقة اسم للقدرة على الشيء

مع الشدة والمشقة والتعب . والوسع : اسم للقدرة على الشيء بسهولة ويسر .

قال الراغب : الطاقة : اسم لمقدار ما يمكن للانسان أن يفعله بمشقة ، وذلك تشبيه بالطوق المحيط بالشيء ، ومنه قوله - تعالى - : « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » .

أى : ولا تحملنا ما يصعب علينا مزاولته ، وليس معناه : ولا تحملنا ما لاقدرة لنا به .

والعرب لا تقول فلان أطاق الشيء ، إلا إذا كانت قدرته عليه في نهاية الضعف ، بحيث يتحملة بمشقة وعسر ، فلا يقال - مثلا - فلان يطيق حمل نواة أو ريشة ، أو عشرة دراهم من حديد ، وإنما يقال - مثلا - هو يطيق حمل قنطارين من الحديد ، أو يطيق حمل الأمتعة الثقيلة .



وللعلماء أقوال في المراد بقوله - تعالى - : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » أشهرها :

أ - أن هذا راجع الى المقيم الصحيح . . خيره الله - تعالى - بين الصوم والفداء ، وكان ذلك في أول الأمر ، فقد فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه ، فاشتد عليهم ، فرخص لهم في الافطار والفدية ، ثم نسخ ذلك وأوجب الله عليهم الصوم . ويشهد لهذا القول ، ما جاء في الصحيحين عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت هذه الآية « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » كان من أراد أن يفطر يفتدى ، حتى نزلت الآية بعدها فنسختها .

ومراده - رضى الله عنه - بقوله حتى نزلت الآية بعدها فنسختها ، قوله - تعالى - بعد ذلك : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

ومما يدل على أن هذا هو مراده - رضى الله عنه - ،

ما أخرجه الامام مسلم في صحيحه - عن سلمة بن الأكوع - أيضا - أنه قال : كنا في رمضان على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من شاء منا أفطر فافتدى بطعام مسكين ، حتى أنزلت هذه الآية : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .



ب - ويرى بعض العلماء أن قوله - تعالى - : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ليس بمنسوخ ، بل هو محكم ، وأنه نزل في شأن الشيخ الكبير الهرم ، والمرأة العجوز ، إذا كانا لا يستطيعان الصيام ، فيباح لهما ان يفطرا وأن يطعما عن كل يوم مسكينا .

وأصحاب هذا الرأي يستدلون برأيهم بما رواه الامام البخارى في صحيحه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال في هذه الآية : ليست بمنسوخة ، وإنما هي في الشيخ الكبير ، والمرأة العجوز . لا يستطيعان أن يصوما ، فعليهما أن يطعما عن كل يوم مسكينا » .



ج - وهناك رأى ثالث لبعض العلماء يرى أصحابه أن قوله - تعالى - : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ليس بمنسوخ - أيضا - بل هو محكم ، وأن معنى الآية عندهم : وعلى الذين يطيقونه ، أى يقدرون على الصوم بمشقة شديدة ، إذا أرادوا أن يفطروا ، أن يطعموا عن كل يوم يفطرونه مسكينا ، بأن يقدموا له نصف صاع من بر ، أو صاع من تمر أو شعير ، أو قيمة ذلك .



ولم يقصروا ذلك على الرجل الكبير والمرأة العجوز - كما فعل أصحاب الرأي الثاني - وإنما أدخلوا في حكم الذين يقدرون على الصوم بمشقة وتعب : المرأة المرضع ، والمرأة الحامل ، اذا خافتا على أنفسهما ، أو ولديهما ، ومن في حكمهما ، ممن يقدران على الصوم ولكن بمشقة شديدة ، وتعب واضح . وأصحاب هذا الرأي يستدلون لما ذهبوا إليه بمنطوق الآية ، إذ أن الوسع اسم للقدرة على الشيء على جهة السهولة . والطاقة : اسم للقدرة عليه مع الشدة والمشقة - كما سبق أن بينا - .

هذا ، وقد انتصر بعض العلماء لهذا الرأي ، بناء على أن منطوق الآية يؤيده . كما انتصر آخرون للرأي الأول ، بناء على أن الأحاديث الصحيحة تسانده ، وعلى أنه هو الأقرب لروح الشريعة الإسلامية في التدرج في تشريع التكليف ، التي فيها مشقة على الناس .

كما انتصر فريق ثالث للرأي الثاني المروى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- وهناك أقوال أخرى في الآية ، رأينا أن نضرب عنها صفحا لضعفها .

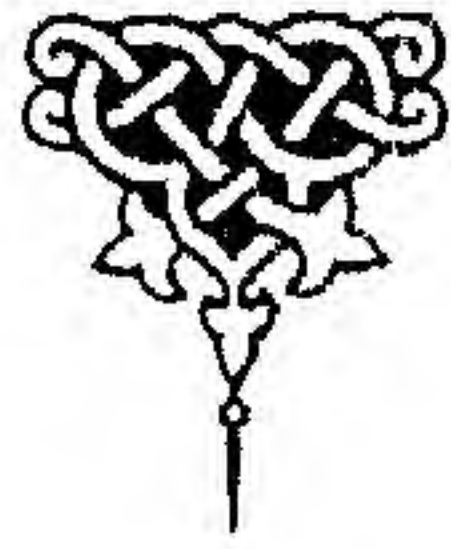


وقوله - تعالى - : « فمن تطوع خيرا فهو خير له » : حض منه - تعالى - لعباده على الاكثار من عمل الخير . والتطوع : اسم للسعي في أن يكون الانسان فاعلا للطاعة باختياره بدون إكراه . والخير : مصدر خار الشيء ، إذا حَسُنَ وشرف .

والمعنى : فمن تطوع خيرا ، بأن زاد على القدر المفروض في الفدية بأن أطعم أكثر من مسكين واحد ، أو بأن جمع بين الاطعام والصوم ، فتطوعه سيكون خيرا له عند الله ، لأنه - سبحانه - لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وقوله - تعالى - ؛ « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون » : ترغيب في الصوم ، وتحبيب فيه .
أى : وأن تصوموا - أيها المطيقون للصوم ، أو أيها المكلفون جميعا - فصيامكم خير لكم من كل شيء سواه ، إن كنتم تعلمون فوائد الصوم في حياتكم ، وحسن جزائه في آخرتكم .

روى النسائي وابن خزيمة عن أبي أمامة - رضى الله عنه -
قال : قلت يا رسول الله ، مرني بعمل . قال : عليك بالصوم فإنه لا عدل له . أى : لا يعادل ثوابه شيء . فقلت يا رسول الله ، مرني بعمل فقال : « عليك بالصوم فإنه لا عدل له » .
فقلت يا رسول الله ، مرني بعمل أدخل به الجنة ؟ فقال : « عليك بالصوم فإنه لا مثل له » .



﴿ أول ما أنزل من القرآن ﴾

وقوله - تعالى - : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » : كلام مستأنف لبيان تلك الأيام المعدودات التي كتبت علينا الصوم فيها ، وأنها أيام شهر رمضان التي تستحق كل مدح وثناء ، لتشرفها بنزول الكتب السماوية فيها .

قال الامام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : يمدح الله - تعالى - شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم .

فقد ورد في الحديث الشريف ، بأنه الشهر الذي كانت تنزل فيه الكتب السماوية على الأنبياء . فعن وائله بن الأسقع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان ، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان ، وأنزل الانجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأنزل القرآن لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان .

- والشهر : مأخوذ من الشهرة . يقال : شهر الشيء يشهر شهرة وشهرا ، إذا ظهر بحيث لا يتعذر علمه على أحد . ومنه قولهم ، شهرت السيف ، إذا سللته وأبرزته .

قالوا : وسمى الهلال شهرا ، لشهرته وبيانه ، وبه سُمى الشهر شهرا . ورمضان : اسم لهذا الشهر الذي فرض الله علينا صيامه ، وهو مأخوذ - كما يقول الامام القرطبي - من

رمض الصائم يرمض ، إذا حر جوفه من شدة العطش .
والرمضاء : شدة الحر . ومنه الحديث الشريف : « صلاة
الأوابين إذا رمضت الفصال » . أى : صلاة الضحى عندما
يشتد حر الضحى .

قيل : إن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ،
سموها بالأزمنة التى وقعت فيها ، فوافق شهر رمضان أيام
رمض الحر وشدته ، فسمى بذلك . وقيل : إنما سمي
رمضان ، لأنه يرمض الذنوب ، أى : يحرقها بالأعمال
الصالحة » .



والقرآن : هو كلام الله - تعالى - المعجز ، المنزل على النبى
- صلى الله عليه وسلم - ، المكتوب فى المصاحف ، المنقول
بالتواتر ، المتعبد بتلاوته .

والمراد بإنزال القرآن فى شهر رمضان : ابتداء إنزاله فيه ،
وكان ذلك فى ليلة القدر ، بدليل قوله - تعالى - : « إنا أنزلناه
فى ليلة مباركة » وهى ليلة القدر التى صرح سبحانه وتعالى بها
فى قوله تعالى : « إنا أنزلناه فى ليلة القدر »

أى : ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر ، إذ من المعروف أن
القرآن قد نزل منجماً على النبى - صلى الله عليه وسلم - فى مدة
تصل الى ثلاث وعشرين سنة تقريباً .

وقيل : المراد بقوله : « شهر رمضان الذى أنزل فيه
القرآن » أى : أنزل فى فضله بعض آيات القرآن . .
قالوا : ومثله أن يقال : أنزل الله - تعالى - فى فضل أبى بكر
كذا آية . يريدون أنزل فى فضله ومدحه .

وقيل : المراد أنزل فى إيجاب صومه على المسلمين القرآن .
كما يقال : أنزل الله فى فريضة الصلاة ، أو فى فريضة الصوم ،
كذا وكذا من آيات القرآن . أى : فى إيجاب فرضيتها ولزوم

أدائها . وأنزل الله في الخمر وفي الربا كذا وكذا من آيات القرآن . أى : فى النهى عن تعاطيها وفى شأن تحريمها . ● ● ● والمعنى : هذا هو شهر رمضان ، الذى من بركاته وفضائله ، أن الله - تعالى - بدأ إنزال القرآن فيه ، على قلب نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - .

وهذا القرآن من خصائصه ومزاياه ، أنه هداية للناس ، وأنه آيات بينات ، فاصلة بين الحق والباطل ، على مر العصور والأجيال .

ومن المعروف أن أول ما نزل من قرآن ، على الرسول صلى الله عليه وسلم هو صدر سورة « العلق » وكان ذلك فى شهر رمضان عندما كان - صلى الله عليه وسلم - معتكفا فى غار حراء .

قال بعض العلماء : واختير شهر رمضان من بين الأشهر ، ليكون فيه الصيام المفروض على الأمة ، لأنه قد شرف بنزول القرآن فيه ، لأن نزول القرآن لما كان لقصد تنزيه الأمة وهداها ، ناسب أن يكون ما به تطهير النفوس ، واقعا فيه . أخرج ابن اسحاق أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « جاورت بحراء شهر رمضان » وقال ابن سعد : جاءه الوحي وهو فى غار حراء ، يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة ، خلت من شهر رمضان .



وقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » : يصح أن يكون الفعل « شهد » هنا بمعنى حضر ، كما يقال : فلان شهد بدرا ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أى : حضرها . فيكون المعنى : فمن حضر منكم دخول الشهر أو حلوله ، فليصمه ، متى كان مقبيا ،

وليس عنده ما يمنعه من الصوم كمرض ونحوه ، لأن صيامه
ركن من أركان الاسلام . ويصح أن يكون الفعل « شهد »
بمعنى علم ، كما في قوله - سبحانه - : « شهد الله أنه لا اله
إلا هو » .

فيكون المعنى : فمن علم منكم ظهور هلال شهر رمضان
فليصمه .



❖ حالة .. من حالات ثلاث ! ❖

وأعيد ذكر الرخصة في قوله - تعالى - «ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر» لئلا يتوهم من تعظيم أمر الصوم في نفسه وأنه خير ، أنه قد صار صيامه متحتما ، بحيث لا تتناوله الرخصة بوجه من الوجوه ، أو تتناوله ولكنها مفضولة ، وفي ذلك عناية بأمر الرخصة ، وأنها محبوبة عند الله - تعالى - وبذلك يزول الحرج عن القلوب ، وتدخل الطمأنينة في النفوس .

وقوله سبحانه «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» .. بيان للحكمة من هذه الرخصة أي : شرع الله - تعالى - لكم الفطر في حالتى السفر والمرض ، لأنه - تعالى - يريد بكم اليسر والسهولة ، ولا يريد بكم العسر والمشقة ، إذ أن شريعته - تعالى - مبينة على اليسر والسماحة ورفع الحرج .

والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية في هذا المعنى كثيرة . أما الآيات القرآنية فمنها قوله - تعالى - «يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا» .

وقوله - سبحانه - «وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج» .
وقوله تعالى « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » .

وقوله - عز وجل - «ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون» .

وأما الأحاديث النبوية فمنها ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الدين يُسرّ ، ولن يُشَادَ الدينَ أحدٌ إلا غلبه ، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغُدوةِ والرُّوحَةِ وشيءٍ من الدُّلجةِ» .

أى : أن الدين الاسلامي بشرائعه جميعها قد جعله - سبحانه - يسرا لا عسرا - ولن يتشدد انسان في التكليف الدينية ويتجاوز الحدود المشروعة إلا غلبه الدين ، ومادام الأمر كذلك فتوسطوا في كل أموركم ، وقاربوا ، وأبشروا بالخير ، واستعينوا على قضاء مصالحكم وعلى طاعة الله - تعالى - بالعزيمة الصادقة ، والنية الطيبة ، ووقت نشاطكم ، بأول النهار وآخره وآخر الليل وهو وقت الدُّلجة .

وأخرجه الامام مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : «هلك المنتطعون» قالها ثلاثا .

والمنتطعون : هم المتعمقون المتشددون في غير موضع التشديد .



ثم بين - سبحانه - حكمة اخرى لوجوب صوم رمضان فقال «ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون» .

أى : شرع لكم ما شرع من أحكام الصيام ، ورخص لكم الفطر في حالتي المرض والسفر ، لأنه - تعالى - يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولأنه يريد منكم ان تكملوا عدة الشهر ، بأن تصوموا أيامه كاملة فتحصلوا خيراته ، ولا يفوتكم شيء من بركاته ، ومن لم يستطع منكم أداء الصوم في هذا الشهر لعذر من الأعذار المشروعة ، فعليه قضاء ما فاته منه في

أيام آخر ، ويريد منكم - سبحانه - أن تكبروه ، وتحمده ، وتعظموه ، فهو وحده الذي هداكم الى تلك الأحكام النافعة ، التي فيها صلاحكم وسعادتكم ، ويريد منكم أن تشكروه ، بأن تواظبوا على الثناء عليه ، وعلى استعمال نعمه فيما خلقت له ، فهو - سبحانه وتعالى - الرؤوف الرحيم بعباده ، إذ شرع لهم ما فيه اليسر لا ما فيه العسر .

وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة ، قد بينت أكمل بيان وأحكمه فضل الصوم ، وحكمة مشروعيته ، ومظاهر رحمة الله بعباده في هذه الفريضة .

وقد ذكرت هذه الآيات ، أن المسلم له بشأن هذه الفريضة حالة من حالات ثلاث :

الحالة الأولى : إذا كان المسلم مريضا خلال شهر رمضان بمرض عارض غير مزمن ، يرجى منه الشفاء ، أو مسافرا سفرا تتوافر فيه شروط الفطر ، فله في هاتين الحالتين أن يفطر ، وأن يقضى بعد رمضان الأيام التي أفطرها ، بدليل قوله - تعالى - «فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر» .

الحالة الثانية : «إذا كان المسلم في شهر رمضان مريضا بمرض مزمن لا يرجى شفاؤه والصوم يتعبه تعباً شديداً ، أو كان شيخاً كبيراً ، أو امرأة عجوزاً ، ولا يستطيعان الصوم ، فقد أباحت الشريعة الإسلامية لهؤلاء أن يفطروا ، وأن يطعموا عن كل يوم مسكينا ، لأن هذه الأعذار لا يرجى زوالها ، ولا ينتظر أن يكون المبتلى بعذر منها بعد رمضان ، خيراً منه في رمضان ، لذا أوجب الشارع على هؤلاء الفدية دون القضاء ، بدليل قوله - تعالى - «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» .

الحالة الثالثة : إذا كان المسلم في شهر رمضان ، سلباً مقيماً ، وليس له عذر يمنعه من الصوم ، فقد أوجب الله - تعالى - أداء هذه الفريضة بقوله : «فمن شهد منكم الشهر

فليصمه» ويحرم عليه أن يفطر ، فإن أفطر - لغير عذر شرعى - كان من الخاسرين .

ففى الحديث الشريف عن أبى هريرة ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : من أفطر يوماً فى رمضان ، من غير رخصة ولا مرض ، لم يقضه - أى : لم يجزه - صوم الدهر كله وإن صامه .. أى : لو حصل منه صوم طول حياته ، فلن يدرك ثواب ما ضيعه بسبب فطره بغير عذر شرعى .

ثم بين - سبحانه - أن العباد إذا حافظوا على فرائضه ، واستجابوا لأوامره ، وابتعدوا عن نواهيه ، فإنه - عز وجل - لا يرد لهم طلباً - ولا ينخب لهم رجاء ، فقال : «وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أجيب دعوة الداعى إذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى ، لعلهم يرشدون» .

وقد ذكر المفسرون فى سبب نزول هذه الآية روايات منها : ما أخرجه ابن جرير وابن أبى حاتم ، من أن أعرابياً جاء الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال له : يا رسول الله ، أقرىب ربنا من فناديه ، أم بعيد فنناديه - أى : أقرىب ربنا منا فنناديه سرا دون أن نرفع أصواتنا ، أم بعيد عنا فنرفع أصواتنا عند الدعاء ؟ فسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قليلاً ، فنزلت عليه هذه الآية .

والمعنى : وإذا سألك عبادى يا محمد عن قربى وعن بعدى ، فقل لهم : إن ربكم قريب منكم بقدرته ، وعلمه ، ورحمته . فقوله - سبحانه - «فإنى قريب» تمثيل لكمال علمه - تعالى - بأفعال عباده وأحوالهم ، وإطلاعه على سائر أحوالهم ، بحال من قرب مكانه منهم ، إذ القرب المكانى محال عليه - تعالى - والمراد بالعباد الذين اضيفوا اليه - سبحانه - المؤمنون الصادقون ، لأن الحديث عنهم ، ولأن سياق الحديث فى هذه الآيات فى بيان أحكام الصوم وفضائله ، وهو خاص

بالمؤمنين ، وقد أضيفوا الى ضمير الجلالة لتشريفهم
وتكريمهم .



وقوله - سبحانه - «أجيب دعوة الداع إذا دعان» تقرير
للقرب ، وتحقيق له ، ووعده للداعي بالاجابة متى صدر الدعاء
من قلب سليم ، ونفس صافية ، وجوارح خاشعة .
ولقد ساق لنا القرآن الكريم أمثلة متنوعة في آيات كثيرة ،
لعباد الله - تعالى - تضرعوا اليه بالدعاء ، فأجاب لهم
دعاهم .

ومن ذلك قوله - تعالى - ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا
له ، فنجيناه وأهله من الكرب العظيم» .
وقوله - تعالى - في شأن ابراهيم - عليه السلام - «رب هب
لى من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم» .
وقوله - سبحانه - حكاية عن يوسف - عليه السلام - «رب
السجن أحب إلى مما يدعوننى إليه ، وإلا تصرف عنى كيدهن
أصب إليهن وأكن من الجاهلين . فاستجاب له ربه فصرف
عنه كيدهن إنه هو السميع العليم» .
الى غير ذلك من الآيات الكريمة التى قصت علينا جانبا من
دعوات الأنبياء والصالحين ، والذين رفعوا أكف الضراعة الى
الله - تعالى فأجاب لهم - سبحانه - دعاهم ، ولم ينجب
سؤالهم .



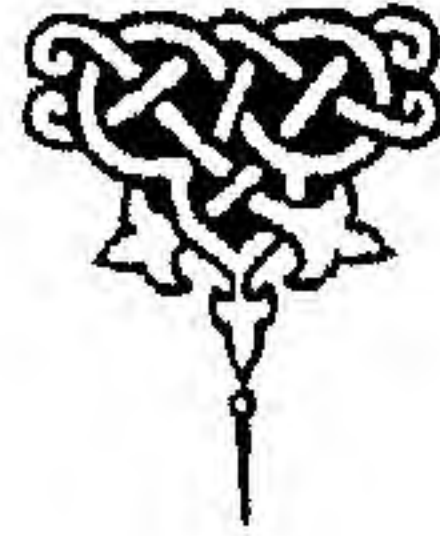
وقوله - سبحانه - «فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم
يرشدون» توجيه منه - تعالى - الى ما يجعل الدعاء مرجو
القبول .

أى : لقد وعدتكم يا عبادى بأن أجيب دعاءكم إذا
دعوتونى ، فعليكم أنتم أن تستجيبوا لأمرى ، وأن تنفذوا

ما كلفتمكم به ، وأن تقفوا عند حدودي ، لعلكم بذلك تصلون
الى ما فيه رشدكم وسعادتكم .

قال الامام ابن كثير عن تفسيره لهذه الآية : «وفي ذكره -
تعالى - هذه الآية ، الباعثة على الدعاء ، متخللة بين أحكام
الصيام ، إرشاد الى الاجتهاد في الدعاء عند إكمال العدة ، بل
وعند كل فطر ، فعن عبدالله بن عمرو قال : سمعت رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : للصائم عند إفطاره دعوة
مستجابة .

فكان عبدالله بن عمرو - رضي الله عنه - إذا أفطر جمع أهله
وولده وأكثر من الدعاء .



﴿ جانب من مظاهر الرحمة ﴾

وبعد هذا الحديث الجامع المؤثر عن الدعاء وفضله ، عادت الآيات الكريمة الى الحديث عن جانب من أحكام الصيام ، ومن مظاهر رحمته - تعالى - بعباده فيما شرع لهم من أحكام ، فقال - عز وجل - «أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» .

وقد ذكر بعض المفسرين في سبب نزول هذه الآية ، أحاديث تفيد ان المسلمين كانوا عندما فرض صيام شهر رمضان عليهم ، إذا أفطروا يأكلون ويشربون ويقربون النساء ما لم يناموا بالليل ، فإذا ناموا حرم عليهم بعد ذلك الطعام والشراب وقربان النساء ، حتى يفطروا من الغد .

ومن الأحاديث التي وردت في هذا المعنى : ما أخرجه الإمام أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم ، عن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : كان الناس في رمضان إذا صام الرجل ثم أفطر فنام ليلا ، حُرِّمَ عليه الطعام والشراب والنساء ، حتى يفطر من الغد ، فرجع عمر بن الخطاب في ليلة من عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأراد امرأته فقالت له : أنى قد نمت فقال لها : ما نمت ، ثم جامعها .

وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب الى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بما حدث منه فأنزل الله هذه الآية .

ومنها ما أخرجه البخارى عن البراء بن عازب قال : كان أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا كان الرجل صائما .

فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي ، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما ، وكان يعمل في النخيل بالنهار فلما حضر وقت الافطار ، أتت امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن أنطلق فأطلب لك ، فغلبته عيناه فنام ، فجاءته امرأته فرأته نائما ، فلما انتصف النهار غشي عليه ، فذكر ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم - فنزلت هذه الآية ، ففرحوا فرحا شديدا .



وجمهور المفسرين على أن هذه الآية من قبيل النسخ ، لأنها نسخت ما كان حاصلا في أول فرضية الصيام ، من أن الصائم إذا نام بعد فطره ، لا يحل له الأكل أو الشرب أو الجماع ، الى أن يفطر من الغد .

ويرى بعض العلماء أن الآية الكريمة ليست من قبيل النسخ ، وإنما هي ارشاد الى ما شرعه الله - تعالى - لعباده خلال شهر رمضان ، من إباحة غشيان زوجاتهم ليلا ، ومن جواز الأكل والشرب سواء أكانوا قد ناموا بالليل ، أم لم يناموا .

وكأن الصحابة كانوا يتخرجون عن ذلك إذا ناموا ، ظنا منهم أنه من تنمة الصوم ، فبين الله - تعالى - لهم أن أكلهم وشربهم وجماعهم لنسائهم بالليل حلال ولا حرج فيه ، وعلى كلا القولين ، فالآية الكريمة تسوق لنا من ألوان رحمة الله - تعالى - بعباده فيما شرع لهم من فرائض وأحكام .



والمراد بليلة الصيام : الليلة التي يصبح فيها الانسان صائما ، بدون تحديد لليلة معينة من شهر رمضان .
والرفث في الأصل : الفحش من القول ، والمراد هنا : الجماع والمباشرة .

والمعنى : أحل الله تعالى لكم في ليالى صومكم الإفشاء الى نساءكم ومباشرتهن .

وقوله - تعالى - «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» كلام حكيم وارد مورد المقتضى لإباحة مباشرة النساء في ليالى الصيام ، وذلك لأن كلا من الزوجين يسكن الى صاحبه ، ويكون لشدة القرب منه ، كالثوب الساتر له ، وكان العرب يسمون المرأة لباسا ، وهذه حال تقوى معها الدواعى على المباشرة .

وفى هذا التعبير ما فيه من اللطافة وسمو التعبير ، حيث شبه - سبحانه - ما بين الزوجين من شدة الاتصال ، باللباس الساتر لكل منهما .

وقوله - سبحانه - «علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم . فتاب عليكم وعفا عنكم» جملة معترضه بين قوله - تعالى - «أحل لكم ليلة الصيام . .» وبين قوله - تعالى - بعد ذلك : «فالآن باشروهن» .

وقد جرى بها لبيان حالهم بالنسبة لما فرط منهم ، ولبيان مظهر من مظاهر رحمة الله - تعالى - بعباده .

وقوله : «تختانون» من الاختيان ، وهو محاولة الخيانة دون الإقدام عليها بشدة . بعد النوم ، قبل أن يظهر الفجر الصادق .

بل إن بعضكم قد فعل ذلك ، فكان من رحمة الله - تعالى - بكم ، أن أباح لكم الأكل والشرب والجماع في ليالى الصوم ، وأنه قبل توبتكم ، وعفا عنكم ، بأن محاذر ما فعلتموه من الأكل والشرب والجماع ، قبل أن يأذن لكم بذلك .



وقوله - تعالى - «فالآن باشروهن ، وابتغوا ما كتب الله لكم» بيان لما أباحه الله - تعالى - لهم بفضلهم وكرمه .

أى : لقد أبحنا لكم الافضاء إلى نساءكم في ليالى رمضان ، بعد إن كنتم متخرجين من ذلك ، فالآن وبعد نزول هذه الآية ، باشروهن ، واطلبوا من وراء هذه المباشرة هن ، ما كتبه الله - تعالى - لكم ، من الذرية الصالحة ، ومن التعفف عن كل ما لا يرضاه خالقكم . وقوله - تعالى - «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر» معطوف على ما قبله ، على سبيل بيان المزيد من رحمته - تعالى - بهم ، وفضله عليهم ، ورعايته لهم .

والمقصود بالخيط الأبيض : أول ما يبدو من الفجر الصادق ، المعترض في الأفق قبل انتشاره ، والمقصود من الخيط الأسود ما يمتد مع بياض الفجر من ظلمة الليل . والمعنى : لقد أبحنا لكم - بفضلنا واحساننا - مباشرة النساء في ليالى الصوم ، وأبحنا لكم كذلك أن تأكلوا وأن تشربوا في هذه الليالى ، حتى يتبين لكم بياض الفجر ، من سواد الليل .

وشبهه - سبحانه - بياض النهار وسواد الليل بالخيطين : الأبيض والأسود ، لأن أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق ، وما يمتد معه من غبش الليل ، يكون كالخيط الممدود في الفضاء .

وقوله - سبحانه - : «من الفجر» : بيان للخيط الأبيض ، واكتفى به عن بيان الخيط الأسود لأن بيان أحدهما بيان للثاني .

هذا ، وقد وردت روايات صحيحة ، تفيد أن قوله - تعالى - «من الفجر» قد تأخر نزوله عن الجمل السابقة له . ففي الصحيحين عن سهل بن سعد قال : أنزلت «وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود» ولم ينزل «من الفجر» فكان رجال إذا أرادوا الصوم ، ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض ، والخيط الأسود ، فلا يزال يأكل

ويشرب ، حتى يتبين له رؤيتهما ، فأنزل الله بعده «من الفجر»
فعلموا أنه - سبحانه - يعنى الليل والنهار.

وفى الصحيحين - أيضا - عن عدى بن حاتم - رضى الله
عنه - قال : لما نزلت هذه الآية عمدت الى عقالين لى أسود
وأبيض - فجعلتهما تحت وسادتي ، وجعلت أنظر إليهما فى
الليل ، فلا يتبين لى ، فعمدت الى - رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - فذكرت له ذلك ، فقال : «إنما هو سواد الليل
وبياض النهار» ونزل قوله - تعالى - «من الفجر» .



وقوله - تعالى - : «ثم أتموا الصيام الى الليل» بيان لانتهاه
وقت الصيام بعد أن بينت الجملة السابقة بدايته .

أى : أبدأوا صومكم من طلوع الفجر ، وانتهوا منه بدخول
الليل عند غروب الشمس ، اذ الليل ليس بوقت للصيام .
ففى الصحيحين عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -
قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أقبل الليل
من هنا ، وأدبر النهار من هنا ، وغربت الشمس ، فقد أفطر
الصائم .

وكان من عادته - صلى الله عليه وسلم - تعجيل الفطر ،
فقد أخرج الشيخان - البخارى ومسلم - عن سهل بن سعد -
رضى الله عنه - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
«لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر» .



وقوله - تعالى - : «ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى
المساجد» استثناء من عموم اباحة المباشرة بالليل .

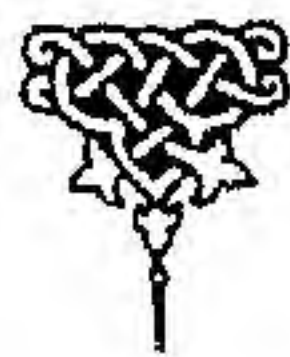
أى : لقد أبحنا لكم مباشرة نسائكم فى ليالى رمضان ،
ولكنكم إذا كنتم معتكفين فى المساجد ، حرم عليكم مباشرتهن
بالليل والنهار ، لأن المعتكف ملازم لطاعة الله - تعالى - فعليه

أن يتجنب ما يقطع هذه الطاعة ، ولو بمباشرة زوجه في الليل أو في النهار ، ثم ختم - سبحانه - الآية الكريمة بقوله : «تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون» .

أى : تلك الأحكام التي شرعناها لكم من إيجاب الصوم ، ومن تحريم الأكل والشرب والجماع في نهاره ، ومن إباحة ذلك في ليله .

تلك هي حدود الله التي لا يحل لكم مخالفتها أو مجاوزتها . ومثل هذا البيان الجامع الحكيم ، يبين الله - تعالى - لكم أدلته وحججه وأحكامه ، لكي تصونوا أنفسكم مما يؤدي بكم إلى العقوبة ، وتكونوا ممن رضى الله - تعالى - عنهم ، ورضوا عنه .

وبذلك تكون هذه الآيات الكريمة التي وردت في شأن الصيام ، قد بينت لنا : ان الله - تعالى - قد فرض علينا الصيام كما فرضه على الأمم التي من قبلنا . . كما بين لنا - سبحانه - الحكمة من هذا الصيام ، ومظاهر رحمته - تعالى - بنا في هذه الفريضة ، وفضل هذا الشهر ، ورعايته - سبحانه - لمصالح عباده ، كل ذلك بأسلوب بليغ حكيم ، جمع بين الترغيب والترهيب ، الإباحة والتحریم ، وغير ذلك من أنواع الهداية والارشادات ، إلى ما يسعد الناس في دينهم وفي دنياهم وفي آخرتهم .



❖ من أحكام الصيام ❖

ما معنى الصوم ؟

الصوم في اللغة : الامساك عن الشيء ، يقال صام فلان عن الكلام ، إذا سكت عنه ، ومنه قوله تعالى حكاية عن مريم : «إني نذرت للرحمن صوما» . . «أى نذرت للرحمن أن أصمت عن الكلام في شأن ابني عيسى - عليه السلام - ومعناه في الشرع : الامساك عن المفطرات ، من طلوع الفجر الصادق ، الى غروب الشمس ، مع النية .

ومتى فرض الصوم ؟

فرض الله تعالى الصوم على المسلمين في شهر شعبان ، من السنة الثانية للهجرة ، وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة ، واجماع الأمة .

أما ثبوته بالكتاب ، فيتجلى في قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون» .

وفي قوله - سبحانه - : «شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . . .» .

وأما ثبوته في السنة ، فيتجلى في أحاديث متعددة ، منها : ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «إن الإسلام بني على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، وحج البيت» .

ومنها ما رواه البخارى ومسلم عن طلحة بن عبيد الله قال : جاء رجل الى النبي - صلى الله عليه وسلم - من أهل نجد ثائر الرأس ، نسمع دوى صوته ، ولا نفقه ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الاسلام ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « خمس صلوات فى اليوم والليلة ، فقال : هل على غيرهن ؟ قال : لا إلا أن تطوع . ثم قال - صلى الله عليه وسلم - وصوم رمضان ، قال : هل على غيره ؟ قال : لا إلا أن تطوع .. » .

وأما الاجماع ، فقد أجمعت الأمة على وجوب صوم شهر رمضان على كل مكلف بصيامه ، وأن منكر ذلك يكون مرتداً عن دين الاسلام ، لأنه أنكر أمراً ثبت من الدين بالضرورة .



بم يثبت هلال شهر رمضان ؟

يثبت هلال شهر رمضان برؤية جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب ، فإن لم تيسر هذه الجماعة ، ثبت برؤية شخصين عدلين له ، فإن لم ييسر ذلك ، ورآه شخص واحد عدل ، أخذ بقوله - عند جمهور العلماء - وصام المسلمون بناء على شهادته بأنه رآه .

ولا بأس بالاستعانة فى الرؤية لكل ما يساعد على رؤيته ، بواسطة الوسائل العلمية الحديثة ، كالمناظير المكبرة وما يشبهها ، كذلك يجب أن يتعاون العلماء المتخصصون فى علوم الفلك ، والأرصاد الجوية ، مع الفقهاء فى علوم الشريعة الاسلامية على ما يؤدى الى تحقيق رؤية هلال شهر رمضان ، فإن هذا التعاون الصادق المخلص له ثمارة الطيبة ، التى تعود بالنفع الى المسلمين جميعاً .

فإذا لم تثبت الرؤية الشرعية بعد تلك الجهود المتبادلة لرؤية هلال رمضان ، أكمل المسلمون عدة شعبان ثلاثين يوماً .

فقد أخرج الشيخان - البخارى ومسلم - وغيرهما - عن أبي هريرة ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : «صوموا لرؤيته - أى : الهلال - وأفطروا لرؤيته ، فإن غمَّ عليكم - أى : تعذرت رؤيته عليكم - فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً» .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإن غمَّ عليكم ، فاقدروا له» أى : فقدروا عدة الشهر حتى تكملوا ثلاثين يوماً .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، وكلها توجب الصوم والفطر بالرؤية الشرعية ، أو بإكمال الشهر ثلاثين يوماً إذا لم تثبت الرؤية .

قال فضيلة الشيخ الدكتور عبدالرحمن تاج - رحمه الله - «يجب على المسلمين أن يهتموا باستقبال رمضان وأن ينهضوا لتحرى الهلال ، عقب غروب الشمس ، من اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، كى يبنوا عبادتهم على يقين وطمأنينة ، ويكونوا عاملين بنص الحديث الشريف الصحيح : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» .

ولا ينبغى أن يتهاون فى هذا الأمر العظيم اعتماداً على أن الفلكيين قد كفوهم مثونة البحث عنه وأعفوهم من مشقة رصده وتكلف رؤيته .

ولماذا لا يتخذ المسلمون هذا الحساب الفلكى عاملاً مساعداً يسهل لهم مهمة البحث ، ويمكن لهم من رؤية الهلال فى غير عسر ، بما يبين لهم منزلة القمر ، ومقدار ارتفاعه ، وغاية مكثه فوق الأفق ؟

إن تقدم علم الفلك وبراعة أهله فيما يعالجون من شئونه ، وذلك الحساب الدقيق الذى يضبطون به أحوال القمر ،

ومنازله ، ومواقعه . . لا ينبغي أن يكون مثبتا لهمم المسلمين ، عن أن ينهضوا لاستقبال الهلال ، وأن يعملوا - مستعينين بتلك المقررات الفلكية - على أن يروه رؤية عينية ، فإن ذلك هو غاية العلم ، وهو عين اليقين .

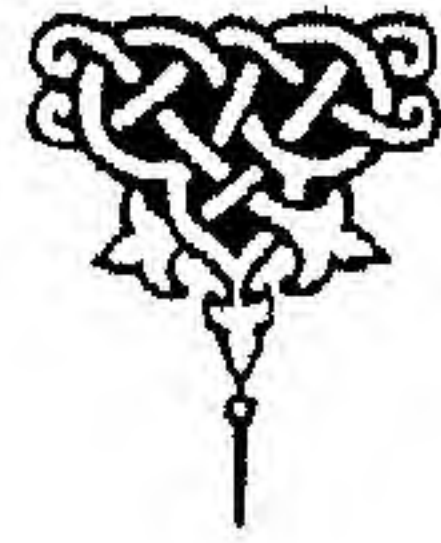


وإذا كانت الشريعة لم تفرض على الناس في تحرى الهلال أكثر من التماسه بالعين المجردة ولم تحتم عليهم أن يتكلفوا البحث عنه بوسائل أخرى رحمة بهم وتخفيفا عليهم فإن ذلك لا يمنع أن تستخدم تلك الوسائل العلمية التي تسهل رؤية الهلال ، والتثبت منه ، مادامت موفورة ميسرة .
والخلاصة أن هلال شهر رمضان يثبت ولو بالرؤية الصحيحة من شخص واحد له عند جمهور العلماء . فإن استحالت الرؤية أكمل المسلمون عدة شعبان ثلاثين يوما .
وأما هلال شهر شوال فيثبت بالرؤية الشرعية له في اليوم التاسع والعشرين من رمضان ، فإذا لم تتم الرؤية في هذا اليوم أكملوا عدة رمضان ثلاثين يوما ، ولا تقبل فيه شهادة العدل الواحد - عند جمهور العلماء - بل لابد من أن يشهد على رؤيته اثنان معروفان بأمانتهما وبعدهما .
قال بعض العلماء ما ملخصه : يثبت شهر رمضان بأحد أمرين :

الأول : رؤية هلاله في اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، إذا كانت السماء خالية مما يمنع الرؤية ، من غيم أو دخان أو غبار أو ما يشبه ذلك .

الثاني : إكمال شعبان ثلاثين يوما - إذا لم تثبت الرؤية الشرعية - لقوله - صلى الله عليه وسلم - «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فإن غم عليكم ، فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما» ثم قال : ويثبت دخول شوال بإخبار عدلين برؤية

هلاله ، ولا تكفى رؤية العدل الواحد في ثبوت هلاله ، خلافاً
للشافعية الذين قالوا : تكفى شهادة العدل الواحد في ثبوت
هلال شوال ، فهو كرمضان على الراجح^(١) .
ومما تقدم يتبين لنا ، أن من الواجب على المسلمين ان
يتحروا رؤية هلال شهر رمضان بصفة خاصة .
فقد أخرج أبو داود في سننه عن عائشة - رضى الله عنها - أن
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يتحفظ من شعبان
ما لا يتحفظ من غيره ، ثم يصوم لرؤية رمضان ، فإن غمَّ
عليه - أى : هلال رمضان - عد ثلاثين يوماً ثم صام .
كما أن من الواجب عليهم أن يتعاونوا فيما بينهم ، وعلى
اختلاف تخصصاتهم في شتى ألوان العلوم ، على ما يحقق
الاطمئنان ، الى أنهم قد وصلوا الى ما هو الحق بالنسبة لثبوت
الهلال ، فإن العلم - رحم بين أهله - كما يقولون - وأنه لا بأس
من الاستعانة بالوسائل العلمية ، لتحقيق رؤية الهلال .



[١] راجع الفقه على المذاهب الأربعة صفحة

﴿ اختلاف المطالع ﴾

نعنى باختلاف المطالع رؤية الهلال في بلد من بلاد المسلمين ، دون بلد آخر ،

وللعلماء بالنسبة لهذه المسألة رأيان :

الرأى الأول يرى أصحابه : أنه متى ثبتت رؤية هلال رمضان في أى بلد من بلاد المسلمين ، وجب عليهم جميعا الصيام لا فرق في ذلك بين القريب والبعيد منهم ، متى بلغهم خبر رؤيته ، وكان يجمعهم جزء من الليل .

وذلك لان الأمر عام لجميع المسلمين في قوله - صلى الله عليه وسلم - «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» ولأن في ذلك توحيدا لكلمة المسلمين ، وجمعا لشملمهم في عباداتهم وأعيادهم ، وفي مبدأ صومهم ونهايته .

وقد زكى هذا الرأى مجمع البحوث الاسلامية في مؤتمره الثالث المنعقد في جمادى الآخر سنة ١٣٨٦ هـ الموافق سبتمبر سنة ١٩٦٦ م ، فقد قرر بالنسبة لتحديد أوائل الشهور القمرية ما يأتى :

أ- أن الرؤية هي الأصل في معرفة دخول أى شهر قمرى كما يدل عليه الحديث الشريف .. فالرؤية هي الأساس ، لكن لايعتمد عليها ، إذا تمكنت فيها التهم تمكنا قويا .
ب- يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة ، كما يكون بخبر الواحد ذكرا كان أو أنثى ، إذا لم تتمكن التهمة في إخباره لسبب من الأسباب ، ومن هذه الأسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به ، الصادر ممن يوثق به .

ج- خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، أما إلزام الكافة فلا يكون إلا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الاسلامية للنظر في ذلك .

د- يعتمد على الحساب في إثبات دخول الشهر إذا لم تتحقق الرؤية ، ولم يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق ثلاثين يوما .

هـ- يرى المؤتمر أنه لا عبرة باختلاف المطالع وإن تباعدت الأقاليم ، متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وإن قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبرا بين الأقاليم التي لا تشترك في جزء من هذه الليلة .

و- يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الاسلامية ، أن يكون في كل إقليم اسلامي هيئة اسلامية يناط بها إثبات الشهور القمرية ، مع مراعاة اتصال بعضها ببعض ، والاتصال بالمراسد والفلكيين الموثوق بهم .



أما الرأي الثاني فيرى أصحابه : أنه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ، ولا يلزمهم رؤية غيرهم .

ومن أدلتهم على ذلك ، ما أخرجه الامام مسلم في صحيحه ، والامام الترمذي في سننه ، والامام أحمد في مسنده ، عن كُريب - مولى ابن عباس - أن أم الفضل ، بعثته الى معاوية بالشام ، قال : فقدمت الشام ، فقضيت حاجتها ، واستهلت على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة . ثم قدمت المدينة في آخر الشهر فسألني ابن عباس - ثم ذكر الهلال - فقال : متى رأيت الهلال بالشام ؟

فقلت : رأيك في ليلة الجمعة . فقال : أنت رأيته ؟

فقلت : نعم وراه الناس وصاموا وصام معاوية .

فقال ابن عباس : لكننا رأيناه ليلة السبت ، فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه .

فقلت : ألا تكفى برؤية معاوية وصيامه ؟
فقال : لا . هكذا أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم .
فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن ابن عباس - رضى الله عنهما - يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ، ولا تلزمهم رؤية غيرهم .

وقد زكى هذا الرأى وأخذ به مجمع الفقه الاسلامى فى دورته الثانية بجدة سنة ١٤٠٧هـ - سنة ١٩٨٦ م فقد كان من بين قراراته :

« لا حاجة الى الدعوة الى توحيد الأهله والأعياد فى العالم الاسلامى ، لأن توحيدها لا يكفل وحدتهم كما يتوهمه كثير من المقترحين لتوحيد الأهله والأعياد ، وأن ترك قضية اثبات الهلال الى دور الافتاء والقضاء فى الدول الاسلامية ، لأن ذلك أولى وأجدر بالمصلحة العامة » .



هذا ، ودار الافتاء المصرية قد اختطت لنفسها منهجا لإثبات أوائل الشهور القمرية ، ولاسيما شهر رمضان - ويتلخص هذا المنهج فيما يلى :

١ - ان دار الافتاء المصرية تعد الرؤية الشرعية الصحيحة التى لا تهمة فيها ، هى الأصل فى تحديد أوائل الشهور القمرية ، وتستعين من أجل الوصول الى هذه الرؤية الصحيحة ، بما تقرره اللجان المتخصصة ، التى ترسلها الى أماكن متفرقة من جمهورية مصر - كأسوان ، والسلوم - والوادي الجديد - لاستطلاع الهلال ..

وهذه اللجان تتألف كل لجنة منها من خمسة أفراد ، ثلاثة من الفقهاء ، وإثنان من الخبراء فى العلوم الفلكية .

وتكون وظيفة الخبراء في العلوم الفلكية ، ارشاد المستطلعين
لللهلال ، الى الأماكن التي يركزون نظرهم اليها ، والى الهيئة
التي يكون عليها الهلال . . كما تستعين - أيضا - دار الافتاء
المصرية ، بالحسابات الفلكية ، الموثوق بها ، والصادرة ممن
يوثق به .

ولم يحدث أن تعارضت الرؤية الصحيحة ، مع الحسابات
الفلكية السليمة .



٢ - ان دار الافتاء المصرية ، إذا ثبتت لديها الرؤية الشرعية
الصحيحة في مصر ، اخذت بها ، وأصدرت بمقتضاها الفتوى
المناسبة .

أما إذا ثبتت هذه الرؤية في بلد إسلامي آخر سوى مصر ولم
تثبت في مصر ، فإن دار الافتاء المصرية ، لها أن تأخذ بها إذا
ما اقتنعت بصحتها ، ولها ألا تأخذ بها إذا لم تقتنع بذلك وليس
لأحد أن يلزمها بالأخذ بها ، لأن دار الافتاء - مع احترامها
لكل دور الافتاء الأخرى - لها موازينها الدقيقة ، في هذا
الشأن ، وهي المسئولة أمام الله - تعالى - عن كل ما يصدر عنها
من فتاوى وأحكام .

٣ - إن مسألة صيام جميع الأقطار الاسلامية لثبوت رؤية
الهلال في قطر منها ، أو عدم صيامها ، من المسائل الاجتهادية
التي اتجه الفقهاء بالنسبة لها اتجاهين - كما سبق أن بينا - ومن
القواعد الفقهية المقررة ، أن حكم الحاكم ، أو القاضي ،
أو المفتي ، في المسائل الاجتهادية يقطع الخلاف .

بمعنى أنه إذا حصل خلاف حول هذه الرؤية التي لم تثبت في
مصر ، وثبتت في دولة اخرى من حيث الأخذ بها أو عدم
الأخذ بها ، وقالت دار الافتاء المصرية كلمتها في هذه المسألة ،
فعلى جميع المصريين المقيمين في مصر ، بل وعلى غيرهم ممن

يقيم في مصر - أيضا - أن يلتزموا بما قالته دار الافتاء ، لأن الحكم في هذه المسألة وأمثالها من اختصاصها ، وهي مسئولة عما تفتى به أمام الله - تعالى -



٤ - لا يصح الربط بين هلال رمضان وهلال ذى الحجة ، بالنسبة لما تقرره المملكة العربية السعودية ، لأن دار الافتاء في مصر ، توافق السعودية فيما تقرره بالنسبة لأول أيام شهر ذى الحجة ولوقفة عرفات ، إذ جميع المناسك الخاصة بالحج تقام على أراضيها ، وليس من المقبول أن يخالفها بلد إسلامي فيما تقرره في هذا الشأن .

أما ما يتعلق بهلال شهر رمضان أو شوال أو غيرهما فالأمر فيه مختلف ، لأن كل دولة لها أن تأخذ برؤية غيرها إذا اقتنعت بها ، ولها ألا تأخذ بها إذا لم تقتنع بذلك .
هذه أهم ملامح المنهج الذي سلكته دار الافتاء المصرية في إثبات أوائل الشهور العربية .



﴿ حكمة مشروعية الصيام ﴾

من شأن العقلاء من الناس ، أنهم يتلقون التكاليف التي كلفهم خالقهم بها ، بالسمع والطاعة ، والامتثال والاستجابة ، سواء أكانت تلك التكاليف أمرا بفعل شيء ، أم نهيا عن ارتكاب محذور ، وصدق الله إذ يقول : «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضل ضللا مبينا» . ومع أن شأن العقلاء كذلك ، فإن الله تعالى قد اقتضت حكمته ورحمته أن يرشد عباده إلى جانب من الحكم التي من أجلها شرع ما شرع من تكاليف .

ففريضة الصلاة ، بين - سبحانه - جانبا من فوائدها فقال : «اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . . .»

وفريضة الزكاة أشار - سبحانه - إلى حكمة مشروعيتها فقال : «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . . .» وفريضة الحج أخبرنا - سبحانه - ببعض وجوه منافعها فقال : «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم . . .»

أما فريضة الصيام فقد وضح لنا - سبحانه - الحكمة في مشروعيتها فقال «يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم ، لعلكم تتقون»

أى : فرضنا عليكم - أيها المؤمنون - الصيام ، كما فرضناه على الذين من قبلكم من الأمم ، لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة

تنالون درجة التقوى ، التي هي أسمى الدرجات وأعلاها ،
وأرفع المنازل وأعظمها ، وبذلك تكونون ممن رضى الله عنهم
ورضوا عنه .



وقد أفاض العلماء في بيان الفوائد التي تعود على
الصائمين ، ومنها :

أ- أن الصوم يهذب الروح ، ويعين النفس على الاستقامة
والصفاء ، ويساعد القلب على التطهر والنقاء ، لأن من شأن
الانسان في حال صيامه أن يكون اكثر مراقبة لله تعالى ، وخشية
من عقابه ورغبة في ثوابه . .

قال الامام الغزالي : «الصيام زكاة النفس ، ورياضة
الجسم ، وداع للبر ، فهو للانسان وقاية ، وللجماعة صيانة ،
في جوع الجسم صفاء القلب ، واتقاد القريحة ، وانقاذ
البصيرة ، لأن الشبع يورث البلادة ويعمى القلب» .

وقال المرحوم الشيخ محمد عبده : ان الصوم يحدث لصاحبه
ملكة المراقبة لله تعالى ، والحياء منه ، وفي هذه المراقبة اكبر
مهيء لسعادتها في الدنيا والآخرة .

انظر هل يُقَدِّمُ من صدق مع الله في صومه . . على غش
الناس وخذاعهم . . كلا ، ان صاحب هذه المراقبة لا يسترسل
في المعاصي ، لأنه اذا نسي وألم بشيء منها ، كان سريع التوبة ،
قريب الأوبة ، كما قال - سبحانه - : «ان الذين اتقوا إذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فاذا هم مبصرون» .
ب- وان الصوم - كذلك - يربي في الانسان قوة الارادة ،
وصدق العزيمة ، والتغلب على تحكم العادات في نفسه ،
وتحمل الآلام والمصاعب بصبر وجلد . .

وهذا التحمل ليس من اجل منفعة زائلة ، أو شهوة
عاجلة ، وانما هو من اجل رضا الخالق - عز وجل - وطاعته ،

كما جاء في الحديث الشريف : «يدع - أى : الصائم - طعامه وشهوته من أجل» .

ولاشك أن هذه المناقب من شأنها أن تعين الانسان على أن يعيش حياة طيبة ، حياة قد تسامى فيها على الشهوات والملذات ، وتطلع فيها الى ما هو أجل وأبقى .
ومن الوصايا الحكيمة التي حكاها القرآن الكريم على لسان لقمان ، قوله لابنه : «يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ماأصابك ، إن ذلك من عزم الأمور» .

ج - ان الصوم - ايضا - يمثل لونا عاليا من التأديب للنفس البشرية ، فقد جرت عادة ابن آدم أنه لا يقدر النعمة حق قدرها ، الا عند فقدانها ، أو الاحتياج اليها .

فكان الصيام مع ما فيه من جوع ومشقة ، تأديبا عمليا للصائمين الموسرين ، حتى يرحموا البائسين والمحتاجين . ولقد قيل لسيدنا يوسف - عليه السلام - : لماذا تكثر من الصيام وأنت الأمين على خزائن الأرض ؟ فكان جوابه : أخاف إذا شبت أن أنسى جوع الجائعين .



ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي ، فقد قال عن الصوم : حرمان مشروع ، وتأديب بالجوع ، وخشوع لله وخضوع . . لكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب ، وباطنه الرحمة ، يستثير الشفقة ، ويحض على الصدقة ، يكسر الكبر ، ويعلم الصبر ، ويسن خلال البر ، حتى إذا جاع من ألف الشعب ، وحرمت المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع ، والجوع كيف ألمه إذا وقع .
د - كذلك من الحكم التي من أجلها شرع الله تعالى الصوم :

تقوية البدن ، واكتساب الصحة ، والشفاء من الأمراض ، فإن كثيرا مما يصيب الناس من أمراض انما هو ناشىء من بطونهم التي يتخمونها بكل ما يشتهونه ، بدون تفرقة بين ما ينبغى ادخاله فيها وما لا ينبغى .

وفى الحديث الشريف : « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه فإن كان ولا محالة : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه » فالصوم فرصة لاستراحة المعدة ، التي هى متى امتلأت بأكثر مما ينبغى ، كانت بيت الداء ، وكانت الحمية - أى : الاعتدال فى الطعام - رأس الدواء .

يقول الدكتور حامد الغوابى خلال حديثه عن « فوائد الصيام الطبية » ما ملخصه :

« يفيد الصوم اضطرابات المعدة والامعاء عن طريق تمتعها باجازة سنوية هى صوم شهر رمضان ، كما أن الصوم من فوائده تخفيف وزن الجسم ، وهذا فيه نفع كبير ، إذ الوزن الزائد عن الحد له أضراره ، كما أن الصوم يفيد المرضى بارتفاع ضغط الدم ، وبالبول السكرى . . . وبغير ذلك من الأمراض التي ثبت طبيا أن الصوم يساعد على علاجها . . . »

هذه بعض الحكم التي من أجلها شرع الله تعالى فريضة الصيام ، وهناك حكم أخرى يطول الحديث فى ذكرها ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق .

للصوم ركنان لا بد من وجودهما ليكون صحيحا :

أما الركن الأول : فهو الامسك عن المفطرات من طلوع الفجر الصادق ، إلى غروب الشمس ، لقولة تعالى : « فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل . . . » .

والمراد بالخيط الأبيض ، والخيط الأسود ، بياض النهار
وسواد الليل ..

وأما الركن الثاني : فهو النية ، بمعنى أن ينوى المسلم صيام
شهر رمضان لقوله تعالى : « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين ... » ولحديث : (إنما الأعمال بالنيات ...) .
والنية محلها القلب ، يكفي فيها العزم والقصد وتحديد المراد
منها ، كالقيام للسحور ، وتحري وقت الفجر الصادق للامساك
عن الطعام والشراب وسائر المفطرات ، إذ هذه الأفعال تعتبر
دليلا واضحا على وجود النية للصيام ، إذ هي أثر لها .
وجهور الفقهاء يرون وجوب تبييت النية للصيام في كل ليلة
من ليالي رمضان قبل الفجر ، لما رواه أحمد وأصحاب السنن
عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب ، أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال : (من لم يجمع الصيام قبل
الفجر ، فلا صيام له) . أى : من لم يحكم النية ويعزم على
الصيام قبل الفجر فلا صيام له .
ويرى الأحناف : جواز وقوع النية للصوم حتى وقت
الضحى .

ويرى المالكية : أن نية واحدة لصيام الشهر كله في أوله
تكفى ، فقد قالوا : (وتكفى النية الواحدة في كل صوم يجب
تتابعه كصيام رمضان ، وصيام كفارته ، وكفارة القتل ، أو
الظهار ، ما دام لم ينقطع تتابعه ...) وهذا الوجوب للنية إنما
هو بالنسبة للصيام المفروض ، أما صيام التطوع ، فتكتفى فيه
النية ولو بعد طلوع النهار ، فقد أخرج الإمام مسلم في
صحيحه عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - دخل عليها ذات يوم فقال : « هل عندكم من
شيء ؟ قلنا : لا .. قال : فإنى صائم .. »

هذا ، ويندب التلفظ بالنية ، ليدل اللسان على ما في

القلب .

وأجمع العلماء على أن صوم رمضان مفروض على كل مسلم بالغ عاقل ، خال من الأعذار التي تبيح له الفطر سواء أكان ذكرا أم أنثى .

أما الاسلام ، فلأنه أساس التكليف ، وأما البلوغ فلأنه الوقت الذي يبدأ فيه التكليف ، وهذا لا يمنع من أن يُعَوِّدَ الآباء أبناءهم على الصيام قبل سن البلوغ ، حتى يتعودوه . فقد أخرج الشيخان عن الزبيِّع بنت مُعوذ قالت : « أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار . . من كان أصبح صائما فليتم صومه . ومن كان أصبح مفطرا فليصم بقية يومه ، فكنا نصومه بعد ذلك ، ونُصُومُ صبياننا الصغار منهم ، ونذهب إلى المسجد ، فنجعل لهم اللعبة من العِهْن - أي : من الصوف - فاذا بكى أحدهم على الطعام ، أعطيناها إياه . . . » .

وأما العقل ، فلأن به التمييز والادراك للأمور ، ومن فقد عقله كان فاقدا للتمييز والادراك السليم للأمور . ففي الحديث الشريف الذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : (رفع القلم عن ثلاثة ؛ عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحلم) .

وأما الخلو من الأعذار ، فلأن من فضل الله تعالى على عباده ، أن رفع الصوم عن أصناف منهم ، تارة على سبيل الوجوب كالحائض والنفساء . . وتارة على سبيل الرخصة كالمرضى والمسافر .

قال تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر . . . » .

❖ الأعدار المبيحة للفطر ❖

والشريعة الاسلامية أقامها الله تعالى على أصول ثابتة وقواعد حكيمة ، منها :

أن هذه الشريعة من أبرز مزاياها وخصائصها : اليسر والسماحة ، ورفع الحرج ، ومن الآيات التي تؤيد ذلك قوله - سبحانه - : « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » . وقوله تعالى : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم ، وليتم نعمته عليكم ، لعلكم تشكرون » .

وقوله عز وجل : « يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » .

ومن الأحاديث التي وَضَّحَ الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيها ، أن هذا الدين مبني على اليسر لا على العسر ما أخرجه البخارى - رحمه الله - عن أبي هريرة - رضى الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه ، فسددوا ، وقاربوا ، وأبشروا . . . » . ومن مظاهر اليسر والسماحة في شريعة الاسلام ، أن الله تعالى فرض صوم شهر رمضان على كل مسلم ، بالغ ، عاقل ، صحيح ، مقيم . . . إلا أنه - سبحانه - فضلا منه وكرما ، أباح لبعض عباده - بل وأوجب عليهم - الفطر ، لظروف تضطربهم إلى ذلك . . . وأصحاب الأعدار المبيحة للفطر أنواع :

أ - فمنهم الذين يرخص لهم في الفطر ، وعليهم القضاء ،

وهؤلاء هم المرضى الذين يرجى برؤهم من مرضهم ،
وشفاؤهم من الله ، إلا أنهم يخافون بسبب صومهم زيادة
مرضهم ، أو تأخر شفائهم ، وكان هذا الخوف بسبب غلبة
الظن ، أو التجربة ، أو أخبار الطبيب الثقة .

قال بعض العلماء : الأعداء التي تبيح للصائم الفطر
كثيرة : منها المرض ، فإذا مرض الصائم وخاف بسبب الصوم
زيادة المرض أو تأخير البرء ، أو حصول مشقة شديدة ، جاز له
الفطر - بل قال الحنابلة : يسن الفطر في هذه الأحوال ويكره
الصوم .

أما إذا غلب على ظنه الهلاك بسبب الصوم ، أو الضرر
الشديد ، كتعطيل حاسة من حواسه وجب عليه الفطر .

قال تعالى : « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام
أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

وقال صاحب فقه السنة : والصحيح الذي يخاف المرض
بالصيام يفطر مثل المريض ، وكذلك ممن غلبه الجوع أو
العطش فخاف الهلاك ، لزمه الفطر ، وإن كان صحيحا
مقيما ، وعليه القضاء .

قال تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما »
وقال سبحانه : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وإذا
صام المريض وتحمل المشقة ، صح صومه ، إلا أنه يكره له
ذلك لأعراضه عن الرخصة التي يجبها الله تعالى ، وقد يلحقه
بذلك ضرر .



ب - وأيضا من الذين يرخص لهم الفطر وعليهم القضاء .
المسافرون سفرا يبيح لهم قصر الصلاة ، قال صاحب الفقه
على المذاهب الأربعة ما ملخصه : ومن الأعداء المبيحة للفطر

السفر ، بشرط أن يكون سفرا يبيح قصر الصلاة - كأن يكون السفر لمسافة تصل إلى حوالي ثمانين كيلو مترا وبشرط أن يشرع المسافر في هذا السفر قبل طلوع الفجر .

وزاد الشافعية شرطا ثالثا لجواز الفطر في السفر ، وهو ألا يكون الشخص مديما للسفر . . فإن كان مديما له حرم الفطر عليه ، الا اذا لحقه بالصوم مشقة ، كالمشقة التي تبيح التيمم فيفطر ، فإن كان السفر لا يبيح قصر الصلاة ، لم يجز له الفطر ، فاذا شرع في السفر بعد طلوع الفجر ، حرم عليه الفطر ، فلو أفطر فعليه القضاء . ويجوز الفطر للمسافر الذي يبتّ النية بالصوم ولا اثم عليه ، وعليه القضاء .

وقال الحنفية : يحرم الفطر على من بيت نية الصوم في سفره ، واذا أفطر فعليه القضاء دون الكفارة وقال المالكية : عليه القضاء والكفارة . . .

وقد وردت أحاديث متعددة ، تدل على أن بعض الصحابة كان يفطر في السفر ، وبعضهم كان يصوم دون أن يلوم بعضهم بعضا .

ومن هذه الأحاديث ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن حمزة الأسلمي - رضي الله عنه - أنه قال : يا رسول الله ، أجد من نفسى قوة على الصوم في السفر ، فهل على جناح ؟ فقال صلى الله عليه وسلم (هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن . ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه) .

وروى أبو داود والترمذى عن أنس قال : (سافرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلم يعب الصائم على المفطر ، ولا المفطر على الصائم .

وفي رواية : (فكانوا يرون أن من وجد قوة فصام حسن ،

ومن وجد ضعفا فأفطر فحسن . هذا ، وقد اختلف الفقهاء في
أى الأمرين أفضل . فجمهور الفقهاء على أن الصيام أفضل
لن قوى عليه ، والفطر أفضل لن لا يقوى عليه .
وقال الامام احمد بن حنبل : الفطر أفضل) .
والذى نراه : أن الله تعالى قد أباح الفطر في رمضان بسبب
المرض أو السفر ، لأن كلا منها مظنة المشقة والخرج . والحكم
الشرعى يوجد حيث توجد مظنته ، وينتفى حيث ينتفى ،
وعلى المسلم أن يقدر حال نفسه ، فاذا أيقن أو غلب على ظنه
أن مرضه أو سفره ، ليس فى الصوم معه مشقة أو عسر ، صام
عملا بقوله تعالى : (وأن تصوموا خير لكم) . واذا أيقن أو
غلب على ظنه أن مرضه أو سفره يجعل الصوم شاقا عليه ،
أفطر عملا بقوله تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
العسر) فالمسألة ترجع الى ضمير الفرد ودينه ، واستفتاء قلبه .



أما النوع الثانى من أصحاب الاعذار المبيحة للفطر ، فهم
الاشخاص الذين تقدمت بهم السن ، كالشيخ الكبير والمرأة
العجوز ، أو الاشخاص الذين أصيبوا بأمراض لا يرجى
شفائهم منها ، وحكم الأطباء الثقات بذلك . . فهؤلاء
يرخص لهم فى الفطر ، وتجب عليهم الفدية .

قال بعض العلماء : ومن الأعذار المبيحة للفطر كبر السن ،
فالشيخ الهرم الفانى ، الذى لا يقدر على الصوم فى جميع فصول
السنة ، يفطر وعلية عن كل يوم فدية طعام مسكين . . ومثله
المريض الذى لا يرجى برؤه ، ولا قضاء عليها لعدم القدرة
على الصيام . . .

أما الجوع والعطش الشديدان ، اللذان لا يقدر الشخص
معهما على الصوم ، فيجوز لن حصل له شىء من ذلك الفطر
وعليه القضاء . . .

وقال فضيلة الشيخ سيد سابق : يرخص الفطر للشيخ الكبير ، والمرأة العجوز ، والمريض الذي لا يرجى برؤه ، وأصحاب الأعمال الشاقة ، الذين لا يجدون متسعا من الرزق غير ما يزاولونه من أعمال . . هؤلاء جميعا يرخص لهم في الفطر اذا كان الصيام يجهدهم ويشق عليهم مشقة شديدة ، في جميع فصول السنة ، وعليهم أن يطعموا عن كل يوم مسكينا . وقدر ذلك بنحو صاع : أى قدح وثلاث - أو نصف صاع ، أو مد ، على خلاف في ذلك ، ولم يأت من السنة ما يدل على التقدير . قال ابن عباس : رخص للشيخ الكبير أن يفطر ، ويطعم عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليه .



والنوع الثالث من أصحاب الأعذار المبيحة للفطر يتمثل في المرأة الحامل والمرأة المرضع ، فانهما اذا خافتا الضرر من الصيام على أنفسهما وولدهما معا ، أو على أنفسهما فقط ، أو على ولدهما فقط ، فانهما في هذه الاحوال يباح لهما الفطر ، وعليهما الفدية ولا قضاء عليهما ، وهذا رأى ابن عمر وابن عباس -رضى الله عنهما-

ويرى الأئمة الأربعة أنه يجوز لهما الفطر ، ويجب عليهما القضاء عند القدرة على ذلك ، ولا فدية عليهما . . الا أن المالكية قالوا : لافدية على الحامل بخلاف المرضع فعليها الفدية . وقال الشافعية والحنابلة عليهما الفدية والقضاء معا ، في حالة ما اذا كان الخوف على ولدهما فقط ، أما اذا كان الخوف على أنفسهما وولدهما أو على أنفسهما فقط ، فلها أن يفطرا وعليهما القضاء فحسب .

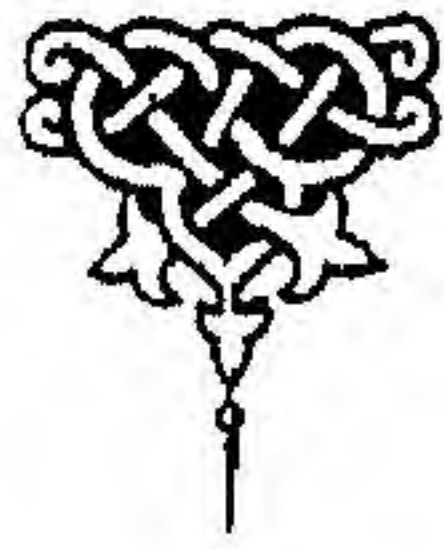


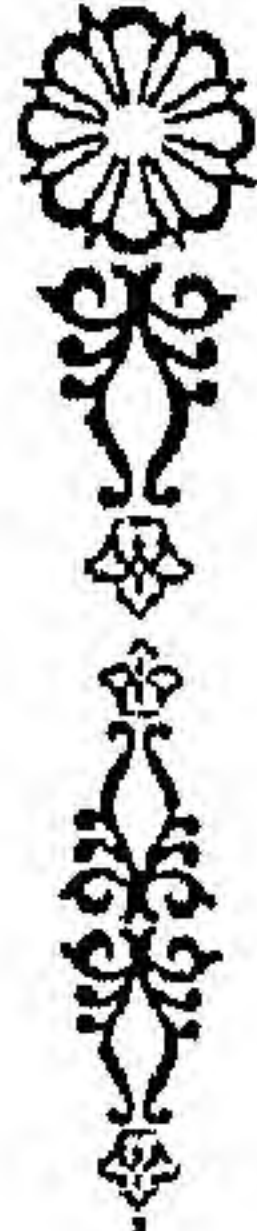
أما النوع الرابع من أصحاب الأعذار فيتمثل في النساء

الحائض والنفساء ، وهؤلاء يجب عليهن الفطر ويحرم عليهن
الصيام ، ولو صمن فصومهن باطل ، وعليهن القضاء للأيام
التي أفطرنها .

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كنا
نحيض على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنؤمر
بقضاء الصوم ، ولا بقضاء الصلاة .

وإذا طهرت المرأة الحائض أو النفساء خلال النهار ، فعليها
أن تمسك عما يفطر الى غروب الشمس ، احتراماً لشهر
رمضان . ومثلها كل من زال عذره في أثناء النهار ، كالمسافر اذا
وصل الى بلده ، وكالمريض اذا شفى من مرضه ، وكالمجنون
اذا زال ما به من جنون .





في ضوء الحديث النبوي

- الصيام الكامل .. والمقبول .
- صيام التطوع .. أنواع .
- صيام داود .. افضل .
- الأيام العشر .. ما هي .
- يوم عاشوراء .. في الجاهلية والاسلام .
- ليس لرجب .. صيام !!
- يوم الجمعة .. ويوم المهرجان .
- صيام يوم العيد . حرام .

يكتب هذا الفصل :

د . أحمد عمر هاشم



❖ الصيام الكامل .. والمقبول ❖

لقد وضح الرسول صلى الله عليه وسلم مكانة شهر رمضان ، ببيان ما تميز به من خصوصيات أشار القرآن الكريم إليها : « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » .

ففيه أنزل القرآن ، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، وهى ليلة القدر ومن أعظم علامات الرحمة والخير فيه : تفتيح أبواب الجنة واغلاق أبواب النار وتسلسل الشياطين . .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفِدَت الشياطين » رواه مسلم .

وقد رأى العلماء أن تفتيح أبواب الجنة واغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين ، على ظاهره وحقيقته ، وتكون هذه الأمور علامة لدخول الشهر ، وتكريماً له ، وفى حبس الشياطين فى شهر رمضان كفّ لهم عن إيذاء المؤمنين .

وهناك وجه آخر أن يكون فتح أبواب الجنة اشارة إلى كثرة الثواب ، واغلاق أبواب النار إشارة إلى العفو ، وتصفيد الشياطين إشارة إلى قلة اغوائهم . فكأن حالهم أشبهت حال المصفيدين ، ويكون هذا التصفيد خاصاً بناس دون ناس ، وعن أمور دون أمور ، ويؤيد هذا الرواية الثانية : « وفتحت أبواب الرحمة » . وجاء فى حديث آخر : « صفتت مرده الشياطين » .

أو أنه اطلق المسبب وهو تفتيح أبواب الجنة واغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين وأراد السبب وهو فعل الطاعات وعمل الخيرات والكف عن المعاصى والسيئات .

وإنما يستشعر كل هذا من صام صوما حقيقيا لا زور فيه ولا غيبة ولا نسيمة ولا ذنب ، بل يتحلى الصائم بمكارم الأخلاق ..

وقال بعض العلماء : يحتمل أن يكون المراد أن الشياطين هم مسترقو السمع منهم وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان لأنهم كانوا منعوا في زمن نزول القرآن من استراق السمع فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ .

وقال بعض العلماء : فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحسان فضل الصائمين وأنه من الله بمنزلة عظيمة .

وهكذا يتضح مما سبق ما لهذا الشهر الكريم ، من منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى ، وأنه أفضل الشهور ، واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الجنة في السماء . كما استنتج العلماء من هذا الحديث مضاعفة الأجر وتنزل رحمت الله تعالى على عباده الصائمين في شهر رمضان ، وعلى المؤمنين أن يعتنموا الأوقات المباركة بكثرة العبادة وزيادة الطاعة .



ولا يكون الصائم كامل الصوم مقبولا عند ربه سبحانه وتعالى إلا إذا صام صوما حقيقيا وتاما ، بأن كف جوارحه وشهواته وأمتنع عن المفطرات وعن المعاصي ما ظهر منها وما بطن وأمتنع عن الزور وعن العمل به .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

والمراد بقول الزور : الكذب ، روى ليث بن مجاهد :

خصلتان يفسدان الصيام : الغيبة والكذب .
والذى يكف عن الطعام والشراب فيجوع ويعطش ولكنه
لا يكف نفسه عن الغيبة أو الزور أو العمل به ولا يحفظ
جوارحه عن الآثام أو يصوم ويفطر على الحرام أو على لحوم
الناس بالغيبة ونحوها ، هذا الانسان لا يجنى من صيامه
إلا الجوع والعطش ، كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : « كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع
والعطش » رواه النسائي وابن ماجه .

وعن أبي سعيد الخدرى رضى الله عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : « من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي
له أن يتحفظ منه كفر ما قبله » رواه ابن حبان فى صحيحه
والبيهقى .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا صمت فليصم سمعك
وبصرك ولسانك ويدك » .

إن الصيام بهذا المعنى يكون كاملا مقبولا ، يتكفل الله
سبحانه وتعالى بجزاء الصائمين كما جاء فى الحديث « كل عمل
ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزي به » .

إن الصيام أمانة يجب على المؤمن أن يؤديها على أكمل وجه
وأتمه وأن يصوم صيامه من كل ما يبطله أو ينقص ثوابه ، وأن
يتحاشى قول الزور والعمل به ، وأن يتخلى عن الرذائل
ويتحلى بالفضائل ليستحق أن يتكفل الله بجزائه ، وأن يثمر
صيامه أعظم الثمرات .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان
حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه
القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من

الريح المرسله « رواه البخارى .
لقد كان صلوات الله وسلامه عليه أجود الناس ، والجود :
هو اعطاء ما ينبغي لمن ينبغي ، وهو أعم من الصدقة .
وفى حديث آخر عن أنس رضى الله عنه : « كان النبى
صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأجود الناس » .
وبعد أن وضع الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أجود الناس مطلقا ، أشار بعد ذلك إلى أن جوده وعطاءه وبذله
صلوات الله وسلامه عليه فى شهر رمضان أكثر من غيره من
الشهور .

فبعد بيان أنه أجود الناس وجوده أفضل من جود غيره
مطلقا ، وضع أن جوده فى شهر رمضان يفضل جوده فى سائر
الأوقات ، لأن شهر رمضان هو موسم الخيرات ولأن نعم الله
سبحانه وتعالى على عباده فيه زائدة على غيره ، وهى فى هذا
الشهر أكثر من غيره ، فكان رسول الله صلوات الله وسلامه
عليه يؤثر متابعة سنة الله فى عباده .

وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن
معنى مدارس القرآن : قراءته بالتناوب على سرعة ، فكان
الرسول صلى الله عليه وسلم يتناوب القراءة مع جبريل عليه
السلام ، بأن يقرأ هذا بعضا من القرآن ، ويقرأ الآخر
البعض ، أو يتشاركان فى القراءة معا .

أما الحكمة فى مدارس القرآن ، فهى أنها تجدد العهد بمزيد
غنى النفس ، والغنى سبب الجود ، ولأن هذا الشهر المبارك هو
موسم الطاعات والخيرات ونعم الله فيه لا تحصى .

وجوده صلى الله عليه وسلم فى شموله وعمومه يشمل كثيرا
من الوجوه والمنافع ، وأن الجود مع كثرتة سريع كالريح
المرسله ، بل إن جوده صلوات الله وسلامه عليه أكثر من

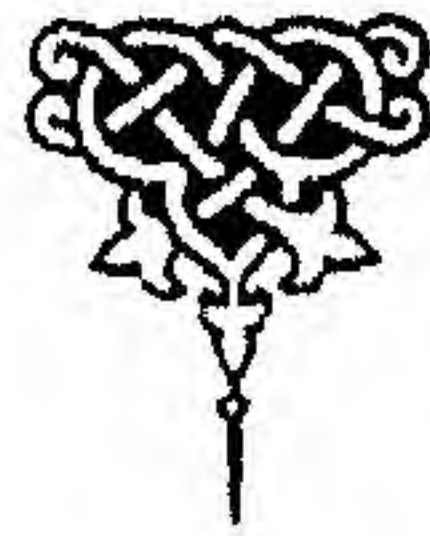
الرياح المرسله سرعة ، ووصف الريح بالمرسله اشاره إلى دوام هبوبها بالرحمة ، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسله جميع ما تهب عليه .

وورد عند الامام احمد في آخر هذا الحديث : « لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه » .

وفي الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا .
ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة الذي يجب على أمته أن تقتدى به كما قال الله جل شأنه :

« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

فعلينا أن نقتدى برسولنا صلوات الله وسلامه عليه في الانفاق والمزيد من الجود في شهر رمضان .



❖ صيام التطوع .. أنواع ❖

ومن الأيام التي يستحب صيامها صيام ستة أيام من شهر شوال . . عن أبي أيوب رضي الله عنه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر» رواه مسلم وأبو داود .

وإنما كان له أجر من صام الدهر ، لقول الله تعالى : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» فإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها ف شهر رمضان يعدل صيامه مع فضل الله تعالى بذلك عشرة أشهر ، كما تعدل الأيام الستة من شهر شوال شهرين ، لأن الحسنة بعشر أمثالها ، فمجموع ذلك عام كامل .

وأيضاً لما روى عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة» من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» رواه ابن ماجه . وقد استحسن بعض الأئمة ، ان تصام هذه الأيام متواليه عقب يوم عيد الفطر .

فإن فرق الأيام أو أخر بعضها أو كلها عن أوائل شهر شوال الى آخره حصلت فضيلة المتابعة ، لأنه يصدق أنه أتبعه ستا من شهر شوال . ومعنى الحديث :

أن الذي يصوم هذه الأيام من شهر شوال يشبه صيامه صيام الدهر (فذاك صيام الدهر) أي أنه . . يشبهه فيما لو صام انسان الدهر دون مضاعفة الأجر ، فإنه يحسب له يوم صومه يوماً واحداً ، أما مع مضاعفة الأجر ، فيحسب كل يوم بعشرة أيام والله ذو الفضل العظيم .

والمراد بكونه يوازي أو يشبه صيام الدهر ، إنما هو لمن
واظب على صيام شهر رمضان وستة أيام من شهر شوال في كل
سنة ، فكأنما صام طول حياته ، لأن الحسنة بعشر أمثالها .
ففى كل عام كأنه صامه ، وأما من صام رمضان وصام ستا من
شهر شوال سنة واحدة ، فهذا كأنما صام سنة واحدة وليس
الدهر كله ، لأن الحسنة بعشر امثالها ، فمن صامها فى سنة
فكأنما صام السنة ، ومن واظب عليها وصامها الدهر فكأنما
صام الدهر كله أى عمره الذى عاشه كله .

والحكمة فى مشروعية صيام الأيام من شهر شوال انها تجبر
النقص الذى قد يحدث فى صيام رمضان .

وعن مالك : أنه يكره صوم هذه الأيام من شهر شوال ،
حذراً من اعتقاد وجوبها ، وأن يلحق برمضان ما ليس منه .
وهذا هو السبب فى كراهية الامام مالك لصيامها ، فإذا لم
يظن ذلك ، وصامها من صامها ، رغبة لما ورد فيها من
الأحاديث والفضل والأجر ، فإنها مستحبة فى شأنه وله ثوابها
وأجرها .

أما بالنسبة لصيام الأيام البيض فقد ذهب بعض العلماء الى
تعيين الأيام الثلاثة التى يستحب صيامها من كل شهر بأنها فى
أول الشهر العربى ، وذهب آخرون الى أنها فى آخر الشهر .
ولكن المعتمد من الآراء . أنها الأيام البيض وهى الثالث
عشر والرابع عشر ، والخامس عشر .

والأصح فى معنى الأيام البيض ، أن المراد بها الليالى التى
يكون فيها القمر من أول الليل الى آخره ، وهى تلك الأيام
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، لأن ليلها ونهارها
أبيضان .

وفي الحديث : «ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان فهذا صيام الدهر كله» .

وأما ما روى عن معاذة العدوية انها سألت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ؟

قالت : نعم . فقلت لها . . من أى الشهر كان يصوم ؟
قالت : لم يكن يبالي من أيام الشهر يصوم .

فلعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يواظب على صيام ثلاثة أيام معينة من كل شهر حتى لا يظن أنها معينة ، ولكنه قد نبه بحديث آخر على سرّة الشهر في قوله لعمران بن حصين : (أوقال لرجل وهو يسمع) يافلان أصمت من سرّة هذا الشهر؟ قال : لا . . قال : فإذا أفطرت فصم يومين .

قال النووي : فكأنه يقول : يستحب أن تكون الأيام الثلاثة من سرّة الشهر وهى وسطه ، وهذا متفق على استحبابه ، وهو استحباب كون الثلاثة هى الأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقيل : هى الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر .

وقال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نصوم من الشهر ثلاثة أيام ، البيض : ثلاث عشرة ، وأربع عشرة ، وخمس عشرة ، وقال : هى كصوم الدهر .

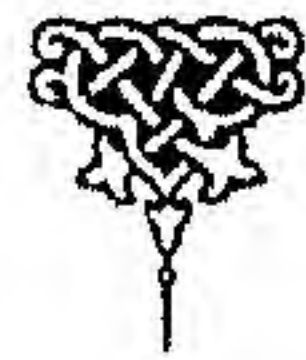
والأمر فى هذا الحديث ليس للوجوب ، بل هو للاستحباب ، لأنه لم يجب الا صيام شهر رمضان والقضاء ، والنذر ، والكفارات .

وهناك استحباب لصيام ثلاثة ايام من كل شهر غير الأيام البيض ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوزعها .

قالت السيدة حفصة رضى الله عنها . . «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من الشهر . . الاثنين والخميس والأثنين ، من الجمعة الأخرى» .
وأحيانا كان عليه الصلاة والسلام يصوم غير الأيام البيض ثلاثة أيام معينة ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس .

وقال الحافظ في الفتح : وهو أشبه ، وإنما فعل هذا النبي صلى الله عليه وسلم مراعاة للعدالة بين الأيام ، وإنما لم يصم الأيام الستة متوالية كي لا يشق على الأمة الاقتداء به رحمة . . .

وهكذا نرى استحباب صيام الأيام البيض وهى ذات الليالى القمرية من وسط الشهر ، واستحباب ثلاثة أيام من كل شهر غير البيض وكان يوزعها ، حتى تظل الأيام متصلة بالعبادة ، ويفرقها حتى لا يكون هناك حرج ولا مشقة لمن يريد من أمته أن يقتدى به صلى الله عليه وسلم .



❖ صيام داود .. افضل ❖

هذا النوع من الصيام ، وهو صيام يوم وإفطار يوم هو المعروف بصيام سيدنا داود عليه السلام ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(كيف من يصوم يوما ويفطر يوما) ؟ قال : «ذاك صوم داود - عليه السلام -» .

وهذا الصوم هو أفضل أنواع الصيام لمن يستطيع القيام به ، لأنه ورد وصفه بأنه أحب الصيام ، حيث قال صلى الله عليه وسلم .

«أحب الصيام الى الله صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما» .

وقال صلى الله عليه وسلم لعبدالله عمرو بن العاص : صم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام ، وهو أعدل الصيام .

وقال : قلت : فإن أطيع أفضل من ذلك ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا أفضل ذلك) قال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما : «لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من أهلى ومالى» . وللعلماء فى هذا النوع من الصيام آراء ..

فذهب بعضهم الى أن صوم يوم وإفطار يوم أفضل من السرد لظاهر هذا الحديث .

وذهب آخرون الى تفضيل السرد وتخصيص هذا الحديث بعبد الله بن عمر ومن في معناه أى ممن تتناسب احوالهم وظروفهم مع هذا المقدار من الصوم فكأن تقدير الكلام (لا أفضل من هذا في حقك) .

ومما يؤيد هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يَنْهَ حمزة بن عمرو عن السرد ، وأرشده الى يوم ويوم ، ولو كان أفضل في حق كل الناس لأرشده إليه وبينه له ، فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز .

وصيام يوم وإفطار يوم أحب الصيام وأفضل الصيام ، لأنه يجمع بين العمل الكثير وبين تمكن العبد من أدائه حيث يصوم ثم يفطر ليتقوى ، ثم يصوم ثم يفطر ، وهكذا فلم يتابع الصيام دائما فيشق على نفسه ولم يتابع الفطر دائما فيتعود عليه ، وهذا النوع مع ما فيه من جهد إلا أنه لا يمكن أن يعتاده إلا أصحاب العزائم القوية ، ومثل هذا الصيام يمكن لصاحبه أن يقوم بأداء حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره . . أما الذى يتابع الصوم فلا يمكنه ذلك .

وعن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أخبرت أنك تقوم الليل وتصوم النهار .

قال : قلت يا رسول الله : نعم .

قال : فصم وأفطر ، وصل ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن لزورك عليك حقا ، «أى الضيف الذى يزورك» وإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام .

قال : فشددت فشدد عليّ . . قال : فقلت يا رسول الله :
إني أجد قوة .

قال : فصمّ من كل جمعه ثلاثة أيام .
قال : فشددت فشدد عليّ قال فقلت يا رسول الله : إني أجد
قوة .:

قال صم صوم نبي الله داود ولا تزدد عليه .
قلت : يا رسول الله ما كان صيام داود عليه الصلاة
والسلام ؟

قال : كلن يصوم يوما ويفطر يوما .
وهذا في حق القادر عليه المستطيع ، وأما غير القادر ،
فعليه أن يأتي من العمل ما يطيقه ، وأحب الأعمال إلى الله
أدومها وإن قل .

وعن الصوم في الأشهر الحرم ، فإننا نود أن نشير أولا إلى
قوله تعالى : «إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب
الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين
القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما
يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين» .

توضح الآية الكريمة من سورة التوبة عدد الشهور عند الله
تعالى في شرعه وحكمه وهو اثنا عشر شهرا ، كتبها سبحانه
عنده في اللوح المحفوظ «يوم خلق السموات والأرض ، منها
أربعة شهور محرمة .

وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب .
وانما سميت بالأشهر الحرم ، لأنها يحرم فيها القتال فهي

معظمة محترمة ، وتضاعف فيها العبادات ذلك الشرع القيم العظيم والمستقيم ، فلا تظلموا في هذه الأشهر المحرمة أنفسكم بارتكاب ما حرم الله تعالى .

وعن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » .

وانما سمي بـرجب مضر لأن ربيعة كانت تحرم بالحج في رمضان وتسميه رجباً ، فبين النبي صلى الله عليه وسلم أنه رجب مضر لا رجب ربيعة .

وقد وردت أحاديث في فضل صيام شهر المحرم منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » .

وفي هذا الحديث تصريح بأن شهر المحرم هو أفضل الشهور للصوم .

وفي شأن شهر رجب روى عن عثمان بن حكيم الأنصاري قال : سألت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ في رجب فقال : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم » .

قال الامام النووي رحمه الله تعالى : « الظاهر أن مراد سعيد

بن جبير بهذا الاستدلال أنه لا نهي عنه ، ولا ندب فيه لعينه ، بل له حكم باقى الشهور» .

ولكن للأشهر الحرم فضيلتها فقد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم الى صيامها من ذلك ما روى عن جُبَيْهِ الباهلية عن أبيها أوعمها أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغير حاله وهيئته فقال : يا رسول الله : أما تعرفنى ؟

قال : ومن أنت ؟

قال : أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول .

قال : فما غَيْرُكَ ؟ وقد كنت حسن الهيئة ؟

قال : ما أكلت طعاما منذ فارقتك إلا بليل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم عذبت نفسك ؟

ثم قال : صم شهر الصبر ، ويوما من كل شهر .

قال : زدنى فإن بى قوة .

قال : صم يومين .

قال : زدنى .

قال صم ثلاثة أيام .

قال : زدنى .

قال صم من الحُرْمِ واترك ، صم من الحرم واترك ، صم

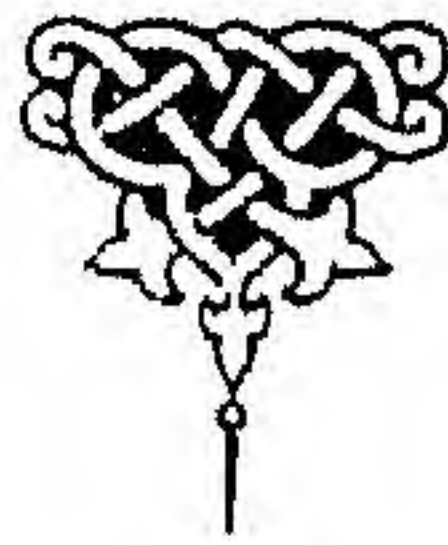
من الحرم ، واترك .

وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها .

والمراد بالحرم الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة

والمحرم ورجب

وهكذا وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم إذا أراد زيادة
على ثلاثة ايام من كل شهر فليصم من الأشهر الحرم ولا يوالى
فيها الصيام أكثر من ثلاثة أيام ثم يفطر مثلها .
وهكذا يتضح لنا فضل الصيام في الأشهر الحرم ،
واستحبابه على ألا يزيد في التابع على ثلاثة أيام ثم يفطر مثلها
كما فهم من ضم اصابعه الثلاثة وإرسالها صلى الله عليه
وسلم .



❖ الأيام العشرة ما هي ؟ ❖

وللصيام في شهر ذي الحجة فضله ومكانته ، إنه من أنواع الصيام الذي يتطوع به العبد لربه مع ملاحظة تحريم صيام يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة .

وللأيام العشرة من شهر ذي الحجة فضلها. عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «ما العمل في أيام أفضل من العمل في هذه قالوا ولا الجهاد؟ قال : ولا الجهاد إلا رجل يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء» .

والمراد بالعشر هي العشر الأولى من شهر ذي الحجة ومعلوم أن اليوم العاشر وهو يوم العيد خارج من عبادة الصيام إذ يحرم صومه ، ولكنه داخل في سائر العبادات الأخرى من صلاة وتكبير وتحميد وتهليل وذكر وإطلاق العشر عليها مع تحريم صوم يوم العيد محمول على الغالب وإذا أطلقت الأيام دخلت فيها الليالي كذلك تبعاً. وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بها في قوله : «والفجر وليال عشر» قال المفسرون : إن المراد بالعشر في الآية الكريمة عشر ذي الحجة ، قيل المراد بالعشر العشر الأولى من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ، وروى عن ابن عباس «وليات عشر» قال : العشر الأول من رمضان .

والأصح أن المراد بها عشر ذي الحجة ، لما رواه جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «إن العشر عشر الأضحى والوتر يوم عرفه والشفع يوم النحر» .

ولحديث جابر في صحيحه أبي عوانة وابن حبان : «ممن أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة» .

وعن بعض امهات المؤمنين قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم تسع ذى الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين من الشهر ، والخميس .
ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولا الجهاد ؟ قال عليه الصلاة والسلام : ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء .

أى إلا من خرج مجاهداً في سبيل الله محتملاً للمشقة مخاطراً بالنفس والمال باذلاً لها فلم يرجع بماله أو لم يرجع بنفسه أو لم يرجع بهما بأن ذهب ماله واستشهد وهذا يدل على فضل تلك الأيام لأنها أيام يغفل الناس عنها في العبادة .

أما يوم عرفة فهو اليوم التاسع من شهر ذى الحجة ، وسمى بيوم عرفة ، لأن الوقوف بعرفة يقع في هذا اليوم للحجاج ، وقيل سمي بعرفة ، لأن ابراهيم عليه السلام أرى في المنام ليلة التروية أنه يؤمر بذبح ابنه فأصبح يومه يتروى هل هذا من الله أو حلم فسمى يوم التروية .

وقيل : لأنهم كانوا يحملون الماء فيه ويرتوون ويروون أنعامهم ودوابهم .

فلما كانت الليلة الثانية رآه أيضاً فأصبح يوم عرفة فعرف أنه من الله ، فسمى يوم عرفة .

وقد ورد في هذا اليوم أن صيامه يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده ، لما روى أبوقتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

«صيام عرفة انى احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده» رواه مسلم .

وانما يستحب صيام يوم عرفة لغير الحاج ، أما الحاج فيستحب لهم الفطر يوم عرفة ليتقوا على الذكر والدعاء .

ولكن كانت عائشة وابن الزبير يصومانه ، وقال قتادة :
لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء .

والأفضل : صيامه لغير الحاج ، والإفطار للحاج للتقوى
على العبادة للأحاديث الواردة في ذلك ، ولفعل الرسول صلى
الله عليه وسلم ، عن أم الفضل بنت الحارث أن ناسا تماروا
بين يديها يوم عرفه في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
بعضهم : صائم ، وقال بعضهم ليس بصائم فأرسلت اليه
بقدر من لبن ، وهو واقف على بعيره بعرفات فشربه النبي
صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن عمر حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فلم
يصمه يعني يوم عرفه ، ومع أبي بكر فلم يصمه ومع عمر فلم
يصمه ومع عثمان فلم يصمه ، وأنا لا أصومه ولا أمر به
ولا أنهى عنه .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن صيام يوم عرفه بعرفة ، لان الصوم يضعفه ويمنعه
الدعاء في هذا اليوم المبارك الذى يستجاب فيه الدعاء ،
والاكثار من ذكر الله تعالى لأنه يوم ترجى فيه الإجابة ومن أجل
هذا استحب فيه الفطر وعدم الصوم ليتقوى المؤمن على
الدعاء .

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم
عرفه فإنه ليدنو عز وجل ثم يباهى بكم الملائكة فيقول :
ما أراد هؤلاء . رواه مسلم .

وفضل صيام هذا اليوم لغير الحاج ، يظهر بتكفير الله تعالى
لذنوب الصائم فيه لسنة ماضية وسنة آتية بتوفيق الله تعالى له
الى التوبة النصوح والبعد عن الذنوب ، والتوفيق الى صالح
الأعمال .

وصيام شهر الله المحرم من أفضل الأوقات والشهور بعد شهر رمضان ، عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» . وفى هذا الحديث تصريح بأن الصيام فى شهر الله المحرم أفضل من غيره بعد شهر رمضان وبأنه أفضل الشهور للصوم . وقد جاء فى بعض الأحاديث ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر من الصوم فى شهر شعبان دون المحرم ، ولعل السبب فى ذلك أنه إنما علم فضله فى آخر حياته أو لعله كان يعرض فيه أعداء من سفر أو مرض أو غير ذلك من الأسباب الأخرى . وواضح أن لشهر المحرم مكانته كواحد من الأشهر الحرم ، وأيضا فلاختصاص الرسول صلى الله عليه وسلم له بهذه الفضيلة للعبادة فيه بالصوم . هذا الى جانب أن فى صيام المحرم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم واتباعا لفعله الذى كان يفعله واستجابة لبيانه ، حيث بين أن صيام شهر المحرم أفضل الصيام بعد شهر رمضان .

والناس يتعارفون على الصوم فى يوم من أيام الشهر وهو يوم عاشوراء ، ويغفلون عن بقية أيامه . ولاشك ان العبادة والتقرب الى الله تعالى فى أيام الغفلة لها فضلها .

وقد قرن فضله بفضل صلاة الليل حيث قال صلوات الله وسلامه عليه (أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل) لأن صلاة الليل لا يعلمها إلا علام الغيوب ، وهى بعيدة عن الرياء وحب الظهور ، بعيدة عن السمعة ، يظهر فيها الانخلاص ، وكذلك الصيام فى شهر المحرم فليس من الأيام المذكورة المشهورة بل كثيرا ما يغفل الناس عن الصيام فيه فكانت العبادة فيها من

التذكير والتدبر ، ومن الاخلاص الصادق ما فيها ، ومن هنا
كان فضلها وفضل صيام هذا الشهر الذي حرم الله القتال فيه
وجعله مباركا .



❖ يوم عاشوراء .. في الجاهلية ❖

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم ، ويرى الجمهور وبعض الشافعية أنه لم يجب صوم قبل رمضان. ويرى الأحناف : أن أول ما فرض صوم يوم عاشوراء فلما نزل فرض صيام شهر رمضان نسخ فرض يوم عاشوراء . واستدلوا بظاهر حديث ابن عمر رضي الله عنهما : قال : « صام النبي صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك ، وكان عبدالله لا يصومه إلا أن يوافق صومه » رواه البخاري . وعن عائشة رضي الله عنها : أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من شاء فليصمه ومن شاء أفطره » رواه البخاري ومسلم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوم عاشوراء في مكة قبل الهجرة ، وبعد أن هاجر إلى المدينة ، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه ، وهذا إنما كان عن وحى أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد إخبار الأحاد .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ قالوا هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه » رواه البخاري .

وفي رواية مسلم : هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه .

ولما فرض صوم شهر رمضان في شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة نسخ وجود صوم يوم عاشوراء على مذهب أبي حنيفة وعلى مذهب غيره نسخ تأكيد استحباب صومه .
وقد روى في فضل صيام يوم عاشوراء قوله صلى الله عليه وسلم : « وصيام يوم عاشوراء احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله » رواه مسلم . أي أن صيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب السنة السابقة .

واتفق العلماء على أن صيام يوم عاشوراء سنة ، أما في أول الاسلام ، وقبل أن يشرع صيام رمضان ففي ذلك خلاف : يرى أبو حنيفة أن صوم يوم عاشوراء كان واجبا . ويرى بعض أصحاب الشافعي أن صيام يوم عاشوراء سنة من يوم أن شرع وليس واجبا ولكنه متأكد الاستحباب ، فلما فرض صيام رمضان صار مستحبا دون الأول .

ويرى البعض انه كان واجبا . قال الامام النووي رحمه الله تعالى : وتظهر فائدة الخلاف في اشتراط نية الصوم الواجب من الليل . فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين أول يوم عاشوراء ثم أمروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه . وأصحاب الشافعي يقولون : كان مستحبا فصح بنية من النهار ويتمسك أبو حنيفة بقوله : أمر بصيامه ، والأمر للوجوب وبقوله : فلما فرض رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه .

ويحتج الشافعية بقوله : هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه . .

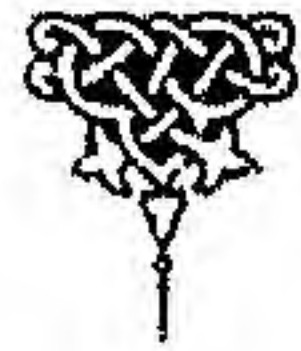
ويوم عاشوراء له هذا الفضل وتلك المنزلة ، فهو اليوم الذي أظهر الله فيه موسى عليه السلام وبني اسرائيل على فرعون فصامه موسى شكرا لله تعالى ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فنحن أحق بموسى » .

وقد وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوم عاشوراء
يكفر السنة الماضية وهذا ما يرجوه الرسول صلى الله عليه وسلم
ويترقبه ويعده عند الله ولا حرج على فضل الله فهو ذو رحمة
واسعة .

وحتى لا يكون في صيام يوم عاشوراء إتباع لأهل الكتاب في
تعظيمهم له استحب إضافة صيام بعض الأيام معه كالיום
التاسع والحادي عشر .

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما صام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء وأمر بصيامه ، قالوا :
يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى ؟ فقال : إذا كان
العام المقبل - إن شاء الله - صمنا اليوم التاسع ، قال : « فلم
يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم »
رواه مسلم وأبو داود .

وفي رواية أخرى يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :
« لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع » رواه أحمد ومسلم . أى
يصوم اليوم التاسع من شهر المحرم مع اليوم العاشر ، وبهذا
يتضح أن لصيام يوم عاشوراء صوراً منها : صيامه مع صيام
يوم قبله وهو التاسع ويوم بعده وهو اليوم الحادي عشر .
ومن ذلك أيضاً : صيامه مع صيام يوم قبله وهو اليوم
التاسع ومن ذلك : صيام يوم عاشوراء وحده .



❖ ليس لرجب .. صيام ❖

في استحباب الصيام في شهر رجب مشروعية على العموم ،
وأخرى على الخصوص :

فأما مشروعية شهر رجب على العموم ، فلما روى من
استحباب الصيام في الأشهر الحرم ، وشهر رجب من هذه
الأشهر .

وأما مشروعية صيام شهر رجب على الخصوص : فقد
أخرج الطبراني عن سعيد بن أبي راشد مرفوعا ، بلفظ : (من
صام يوما من رجب فكأنما صام سنة ، ومن صام منه سبعة أيام
غلقت عنه أبواب جهنم ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له
ثمانية أبواب الجنة ، ومن صام منه عشرة أيام لم يسأل الله شيئا
إلا أعطاه ، ومن صام خمسة عشر يوما نادى مناد من السماء قد
غفر لك ما مضى فاستأنف العمل . ومن زاد زاده الله) .
وحكى ابن السبكي عن محمد بن منصور السمعاني ، أنه
قال : لم يرد في استحباب صوم رجب على الخصوص سنة ثابتة
والأحاديث التي تروى فيه واهية لا يفرح بها عالم .

والصيام في شهر رجب لم يرد فيه نهى عن الصيام ،
ولا نذب فيه لعينه بل له حكم الشهور الحرم ..
حدث عثمان بن حكيم الأنصاري قال : سألت سعيد بن
جبير عن صوم رجب - ونحن يومئذ في رجب - فقال : سمعت
ابن عباس رضي الله عنهما يقول : (كان رسول الله عليه وسلم
يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم) .
قال الامام النووي - رحمه الله تعالى - : الظاهر أن مراد

سعيد بن جبير بهذا الاستدلال أنه لا نهى عنه ، ولا ندب فيه لعينه بل له حكم باقى الشهور .

ولكن للأشهر الحرم فضيلتها ، فقد ندب الرسول صلى الله عليه وسلم الى صيامها ، وشهر رجب هو أحد هذه الشهور فيكون الصيام فيه على هذا مندوبا ضمن الأشهر الحرم .

من ذلك ما رواه أبو داود فى سننه قال : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريرى عن أبى السليل عن مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق ، فاتاه بعد سنة وقد تغير حاله وهيئته فقال . يا رسول الله أما تعرفنى ؟

قال : وَمَنْ أَنْتَ ؟

قال : أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول ، قال : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟

قال : ما أكلت طعاما منذ فارقتك إلا بليل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لِمَ عذبت نفسك ؟

ثم قال : صم شهر الصبر ويوما من كل شهر .

قال : زدنى فإن بى قوة قال : صم يومين قال زدنى ، قال

صم ثلاثة أيام قال زدنى قال : صم من الحرم وأترك ، صم من

الحرم وأترك ، صم من الحرم وأترك ، وقال بأصابعه الثلاثة

فضمها ثم أرسلها .

وقال الحافظ ابن حجر : « لم يرد فى فضله - أى شهر رجب -

ولا فى صيامه ، ولا فى شىء منه معين ولا فى قيام ليلة مخصوصة

منه حديث صحيح يصلح للحجة » .

وشهر الصبر المشار اليه فى الحديث السابق هو شهر رمضان

والمراد بالحرم فيه : الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة

والمحرم ورجب .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : وأما صوم رجب بخصوصه فأحاديث كلها ضعيفة بل موضوعه لا يعتمد أهل العلم على شيء منها ، وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل بل عامتها من الموضوعات المكذوبات ، وأكثر ما روى في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل رجب يقول : (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان) وقد روى ابن ماجه في سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صوم رجب وفي اسناده نظر ، لكن صح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يضرب أيدي الناس ليضعوا أيديهم في الطعام في رجب ويقول : (لا تشبهوه برمضان) .

كذلك أيضا تخصيص شهر رجب وشهر شعبان جميعا بالصوم أو الاعتكاف لم يرد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء ولا عن أصحابه ولا أئمة المسلمين ، وإنما الثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في شعبان أكثر صياما منه في غيره ولكنه لم يثبت صيام رجب كله ولا صيام شعبان كله بأن يجمع الصائم صيام الأشهر الثلاثة كلها وهي رجب وشعبان ورمضان .

من كل ما سبق نخلص إلى أن الصيام في شهر رجب حكمه كحكم الصيام في باقي الأشهر الحرم ؛ لأنه ورد أن للأشهر

الحرم فضيلة ودعوة إلى صيامها وليس لشهر رجب - على الانفراد - دون سائر الشهور صيام معين أو عبادة معينة أو نسك خاص بشهر رجب ، فمن شاء أن يصوم في شهر رجب نفلا صام ، شريطة ألا يعتقد أن لشهر رجب على الانفراد عبادة خاصة .

أما عن الصيام في شهر شعبان ، وقد سمي هذا الشهر بهذا

الاسم ؛ لتشعب الناس فيه طلبا للمياه أو الغارات بعد أن ينتهى شهر رجب الذى هو أحد الأشهر الحرم ، وهذا التعليل الثانى أرجح .

والصيام فى هذا الشهر مندوب ، عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيت أكثر صياما معه فى شعبان .

ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصوم معظم شهر شعبان وفى رواية فى صحيح مسلم : « كان يصوم شعبان إلا قليلا » .

وفى حديث يحيى بن أبى كثير فإنه كان يصوم شعبان كله ، وعند أبى داود وغيره أنه كان لا يصوم من السنة شهرا تاما إلا شعبان يصله برمضان .

والمعنى : أنه كان يصوم معظم شهر شعبان . قال ابن المبارك : جائز فى كلام العرب إذا صام أكثر الشهر . أن يقول : صام الشهر كله ، فالمراد بالكل أكثر الشهر ، وحمل بعض العلماء معنى صيام شعبان كله على أنه كان يصوم شعبان كله تارة ، ويصوم معظمه تارة أخرى بالأيتوهم أنه واجب كله مثل شهر رمضان .

أو أن المراد بصيامه كله أنه كان يصوم من أوله تارة ، ومن آخره تارة أخرى ومن أثنائه طورا ، فلا يترك شيئا منه من غير صيام ولا ينخص بعضه بصيام دون بعض .

وقال بعض العلماء : إما أن يحمل قول السيدة عائشة رضى الله عنها على المبالغة والمراد الأكثر ، وإما أن يجمع بأن قولها الثانى متأخر عن قولها الأول فأخبرت عن أول أمره أنه كان

يصوم أكثر شعبان ، وأخبرت ثانيا عن آخر أمره أنه كان يصومه كله .



والحكمة في اختصاص شهر شعبان بكثرة الصيام فيه تنحصر فيما يأتي :

أولا : كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيتها في شعبان .

ثانيا : قيل كان يصنع ذلك لتعظيم شهر رمضان .
ثالثا : وقيل : لأن نساءه كن يقضين ما عليهن من شهر رمضان في شهر شعبان .

رابعا : أنه يعقبه شهر رمضان وصومه فرض فكان يكثر من الصوم في شعبان قدر ما يصوم في شهرين غيره ، لما يفوته من التطوع بذلك في أيام شهر رمضان .

خامسا : وأولى الحكم وأقواها في السبب في كثرة الصيام في شهر شعبان ما جاء في الحديث الآخر : عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم » ونحوه من حديث عائشة عن أبي يعلى لكن قال فيه : إن الله يكتب كل نفس ميتة تلك السنة فأحب أن يأتيني أجلى وأنا صائم .

وروى الامام مسلم - بسنده - عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أو لآخر : أصمت من سرر الشهر ؟ قال : لا قال : فإذا أفطرت فصم يومين ، والمراد بالسرر : آخر الشهر سميت بذلك ؛ لاستسرار

القمر فيها ، وقيل : بل المراد بالسرر : وسط الشهر ؛ فإنها الأيام البيض ، قالوا : وسرار كل شيء وسطه وأفضله ، وعلى أن المراد بالسرر آخر شعبان ، فلا يكون ذلك مخالفا للأحاديث الصحيحة في النهي عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين إذ يجاب عن ذلك بأن هذا الرجل كان معتادا الصيام آخر الشهر أو نذره ، فتركه لخوفه من الدخول في النهي عن تقدم رمضان ، فبين له النبي صلى الله عليه وسلم أن الصوم المعتاد لا يدخل في النهي وإنما النهي عن الصوم في آخر شعبان إذا كان غير معتاد له .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان) انه يستحب صوم رجب ؛ لأن الظاهر انهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ورجبا ، ويحتمل أن المراد غفلتهم عن تعظيم شعبان بصومه كما يعظمون رجباً بنحر النحائر فيه فإنه كان يعظم بذلك في الجاهلية ، وينحرون فيه ، والظاهر الاحتمال الأول لأن المراد بالناس الصحابة. فإن الشارع كان محاً آثار الجاهلية ولكن غايته التقرير لهم على صومه وهو لا يفيد زيادة على الجواز .



❖ يوم الجمعة .. ويوم المهرجان ❖

ان يوم الجمعة هو خير أيام الاسبوع ، وهو خير يوم طلعت فيه الشمس ، عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة » .

ويوم الجمعة هو العيد الاسبوعي للمسلمين ، ولهذا ورد النهي عن صيامه ، فيكره أن يفرد هذا اليوم بالصوم ، إلا إذا وافق يوم الجمعة صيام يوم اعتاد صيامه كأن كان المسلم مثلاً يصوم يوماً ويفطر يوماً ، فوافق يوم الصيام يوم الجمعة ، أو كان قد اعتاد أن يصوم أول يوم من الشهر وآخر يوم أو يوم نصف الشهر ونحو ذلك ، كما نص على ذلك الامام أحمد . وقال أبو حنيفة ومالك : لا يكره إفراد الجمعة ؛ لأنه يومٌ فأشبهه سائر الأيام ، ولكن رأى الجمهور أن صيام يوم الجمعة منهي عنه وأنه نهى كراهة ، وليس للتحريم ، ومن الأدلة على كراهة صيام يوم الجمعة :

عن عامر الأشعري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن يوم الجمعة عيدكم فلا تصوموه إلا أن تصوموا قبله أو بعده » .

وكما لا يكره صيام يوم الجمعة على الانفراد إذا صادف صيام يوم كان يتعده كأول الشهر أو وسطه . كذلك لا يكره إذا صادف يوماً من الأيام التي يستحب صومها مثل يوم عرفة أو يوم عاشوراء ، كذلك لا يكره صيام يوم الجمعة إذا صام يوماً قبله أو يوماً بعده ؛ لما ورد في الصحيحين من حديث جابر

رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تصوموا يوم الجمعة إلا قبله يوم أو بعده يوم » وفيما رواه مسلم : « . . ولا تخلصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم » وقال محمد بن عباد سألت جابرا : أنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم الجمعة ؟ قال : نعم « متفق عليه .

وعن جويرية بنت الحارث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال : أصمت أمس ؟ قالت : لا قال : أتريدين أن تصومي غدا ؟ قالت : لا قال : « فأفطري » . وفي هذا دلالة على أن النهى عن صيام يوم الجمعة إنما يكون في حالة افراده بالصوم ، ففي الحديث السابق كان النهى عن صيام يوم الجمعة معلا بكونها لم تصم أمس ولا غدا .



ويكره أن يخص أحد يوم السبت بصيام ؛ وذلك لأن اليهود يعظمون يوم السبت .

ويرى كراهية يوم السبت منفردا الأحناف والشافعية والحنابلة ، وأما الامام مالك فقد جوز صيام يوم السبت منفردا بلا كراهة .

ومما يدل على كراهة صيام يوم السبت ما روى عن عبدالله بن بسر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم . . .) .

وعن عبدالله بن بسر عن أخته الصماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء عنب أو عود شجرة فليمضغه) .

والمكروه في صيام يوم السبت هو إفراده بالصيام ، فإن صام معه غيره لم يكن صيامه مكروها لحديث أبي هريرة رضى الله عنه ، وجويزية رضى الله عنها .

وكذلك إن صام يوم السبت فوافق صوما له اعتاده بأن كان قد تعود مثلا صيام يوم وإفطار يوم فوافق يوم صومه يوم السبت ، وكذا لو صادف مجيء يوم عرفه أو يوم عاشوراء يوم السبت .

كما يكره أفراد يوم النيروز ويوم المهرجان بالصوم لأنها يومان يعظمهما الكفار ، فيكون تخصيصهما بالصيام دون غيرهما موافقة لهم في تعظيمهما فكره صيامهما كيوم السبت ، ويقاس على هذا كل عيد للكفار أو يوم يفرّدونه بالتعظيم ، وإنما يظهر هذا فيما إذا كانوا يصومونه ، وأما إذا عظموه بغير الصيام ، فلا يكون من صامه متشبها بهم .

فالتشبه بالكفار في عباداتهم أو تعظيمهم لبعض من الأيام غير جائز شرعا .

وبهذا يتضح أن يوم السبت جاءت كراهته لأنه يوم يعظمه اليهود ، فلا يصح أن يفرده المسلمون بالصيام حتى لا يكون فيه تشبه بهم .



ومن أنواع الصيام المستحب : صيام يوم الاثنين ، ويوم الخميس ، لما روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس ، ف قيل له ؟ فقال : « إن الأعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول : (اخرهما) رواه أحمد .

أى أن الله تعالى يغفر لعباده إلا المتهاجرين ، أى من كان بينهما هَجْرٌ بالخصومة أو العداوة والبغضاء ، وورد فى رواية الامام مسلم : (إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا) وكرر الجملة ثلاث مرات للتأكيد .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم الاثنين والخميس ، فسأله ، فقال : « إن الأعمال تعرض يوم الاثنين والخميس » رواه الدارمى .
وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله عليه وسلم قال : « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فمن استغفر فيغفر له ومن تائب فُتَابَ عَلَيْهِ وَيُرَدُّ أَهْلُ الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا » أخرجه المنذرى ، ورواه أبودواد وكما ذكر المنذرى رواه ثقات . فهذه الأحاديث توضح فضل يومى الاثنين والخميس وأن صيامهما مستحب ، فإن الأعمال تعرض فيهما على الله تعالى وكان صيامهما مستحبا لفضلهما ، ولأن الأعمال تعرض فيهما فتعرض فى وقت الصيام الذى هو من أفضل العبادات ، فتكون المغفرة ، وفيما رواه الامام مسلم فى صحيحه من حديث أبى قتادة :

(وسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ قَالَ : ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنزِلَ عَلَيَّ فِيهِ . .)

وفى هذا الحديث من رواية شُعْبَةَ قَالَ : وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيْسِ فَسَكَبْنَا عَنْ ذِكْرِ الْخَمِيْسِ لِمَا نَرَاهُ وَهُمَا .

وفى رواية أخرى عند مسلم عن أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الْاِثْنَيْنِ فَقَالَ : فِيهِ وُلِدْتُ ، وَفِيهِ أُنزِلَ عَلَيَّ .

وإنما جاء في رواية شُعبه (فسكتنا عن ذكر الخميس) قال
القاضي عياض إنما تركه وسكت عنه لقوله (فيه ولدت وفيه
بعثت أو أنزل عليّ) وهذا إنما هو في يوم الاثنين كما جاء في
الروايات الأخرى (يوم الاثنين) دون ذكر الخميس فلما كان في
رواية شعبة ذكر الخميس تركه مسلم لأنه رآه وهما ، قال
القاضي : ويحتمل صحة رواية شعبة ويرجع الوصف بالولادة
والإنزال - أي للوحي - إلى الاثنين دون الخميس وفي هذا دلالة
لفضل بعض الأيام على بعض واختصاص بعضها كيوم مولده
بالصوم شكر الله تعالى من رسوله صلى الله عليه وسلم كما
يستحب لأمة شكر الله تعالى على نعمة مولد الرسول صلى الله
عليه وسلم وعلى نعمة بعثته التي هي رحمة للعالمين .



❖ صيام يوم العيد .. حرام ❖

أجمع العلماء على تحريم صيام يوم عيد الفطر ، وتحريم صيام يوم عيد الأضحى ، سواء صامها صوم نذر أو صامها صوم تطوع أو صوم كفارة أو غير ذلك من أنواع الصيام ، فيحرم صوم يومى العيدين سواء كان صيام فرض أو صيام تطوع ، حتى ولو نذر صومها لعينها ، قال الشافعى والجمهور : لا ينعقد نذره ولا يلزمه قضاؤهما .

وقال أبو حنيفة : ينعقد النذر ويلزمه قضاؤهما قال : فإن صامها أجزاء وخالف الناس كلهم فى ذلك وبمثل قول الامام أبى حنيفة قال المؤيد بالله والامام يحيى :

وقال البعض : يصح النذر بصيامها ويصوم فى غيرهما ولا يصح صومه فيها ، وهذا اذا نذر صومها بعينها كما تقدم وإما إذا انذر صوم يوم الاثنين مثلا فوافق يوم العيد ، فقال النووى : لا يجوز له صوم العيد بالاجماع قال : وهل يلزمه القضاء فيه خلاف للعلماء وفيه للشافعى قولان أصحهما : لا يجب قضاؤه ، لأن لفظه لم يتناول القضاء ، وإنما يجب قضاء الفرائض بأمر جديد على المختار .

وأما الحكمة فى النهى عن صوم العيدين فإن فى صيامها إعراضا عن ضيافة الله تعالى لعباده كما صرح بذلك أهل الأصول .

فإن المؤمنين فى أيام الأعياد فى ضيافة رب العباد سبحانه وتعالى :

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انه نهى عن صوم يومين : يوم الفطر ويوم

النحر» .

وفي لفظ لأحمد والبخارى : لا صوم في يومين . ولمسلم : لا يصح الصيام في يومين . هذا إلى جانب ما في العيدين من إظهار للبهجة والسرور والشكر على نعمة الله على عباده بتوفيقهم إلى عبادته ، ففي يوم الفطر يكون المسلمون خارجين من عبادة الصيام شهرا كاملا هو شهر رمضان وفي عيد الأضحى يكون حجاج بيت الله الحرام في مناسكهم بعد يوم عرفة حيث يرمون جمرة العقبة في يوم عيد الأضحى ، وينحرون ويحلقون ويكبرون ربهم سبحانه وتعالى .
وغير الحجاج في أوطانهم يستحب لهم صيام يوم عرفة والفطر يوم العيد ، حيث ينحرون الأضحية ويكبرون الله على ما هداهم وينعمون بضيافة ربهم سبحانه في هذا اليوم المبارك العظيم .



وعن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فناديا أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمنا وأيام منى أيام أكل وشرب . رواه أحمد ومسلم .
وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم خمسة أيام في السنة يوم الفطر ويوم النحر وثلاثة أيام التشريق رواه الدارقطني .

وعن عائشة وابن عمر قالا : « لم يُرخص في أيام التشريق أن يُصمَّن إلا لمن يجد الهدى » رواه البخارى ، وله عنها أنها قالا : « الصيام لمن تمتع بالعمرة إلى الحج إلى يوم عرفة ، فإن لم يجد هديا ولم يصم صام أيام منى » .
وهكذا يتضح تحريم صوم أيام التشريق الثلاثة وهي أيام الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من شهر ذى الحجة .
وقد روى ابن المنذر وغيره عن الزبير بن العوام وأبي طلحة

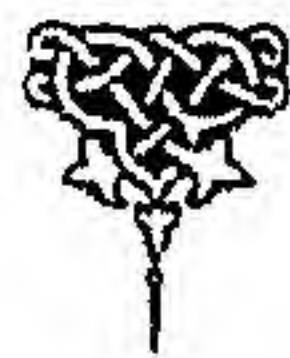
من الصحابة : الجواز مطلقا . وعن علي رضي الله عنه
وعبدالله بن عمرو بن العاص : المنع مطلقا وهو المشهور عن
الشافعي وعن ابن عمر وعائشة وعبيد بن عمير في آخرين منعه
إلا للمتمتع الذي لا يجد الهدى وهو قول مالك والشافعي في
القديم .

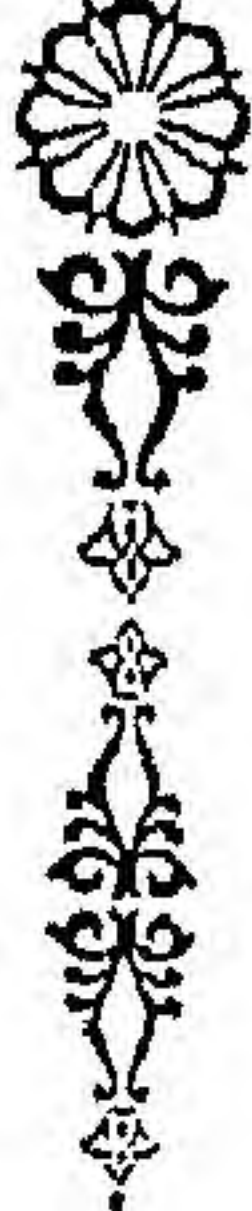
وعن الأوزاعي وغيره أيضا : يصومها المحصر والقارن
انتهى .

واستدل القائلون بالمنع مطلقا بالأحاديث التي لم تقيد الجواز
للمتمتع .

واستدل القائلون بالجواز للمتمتع بحديث عائشة وابن عمر
المذكور وأخرج الدارقطني والطحاوي بلفظ : « رخص رسول
الله صلى الله عليه وسلم للمتمتع إذا لم يجد الهدى أن يصوم
أيام التشريق وسميت تلك الأيام بأيام التشريق ، لأن لحوم
الأضاحي تشرق فيها أي تنشر في الشمس ، وقيل : لأن الهدى
لا ينحر حتى تشرق الشمس ، وقيل لأن صلاة العيد تقع عند
شروق الشمس .

وقيل : التشريق : التكبير دُبر كل صلاة انتهى . وقد قال
الله تعالى - مشيرا إلى تلك الأيام الثلاثة - : « فمن لم يجد فصيام
ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن
لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله
شديد العقاب »





رمضان .. والصيام في ضوء السيرة النبوية :

- مع غزوة بدر .. لحظة بلحظة !
- أبوجهل .. والعناد إلى آخر رمق !!
- الجوع والعري .. عندما يطول أمدهما !!
- شقة العداوة تتسع .. بين المسلمين واليهود .
- وجاء .. يوم الفتح الاعظم ..
- النبي يخرج مطاردا .. ويعود منتصرا !!
- وهكذا .. دخل أهل مكة في الاسلام .

يكتب هذا الفصل :

الشيخ محمد الغزالي



﴿ مع غزوة بدر لحظة بلحظة !! ﴾

لقد حفل شهر رمضان المعظم بذكريات كريمة لها أكبر الأثر في حياة المسلمين من أهمها : يوم الفرقان : يوم غزوة بدر الكبرى ويوم الفتح العظيم .

وقد بدأ يوم بدر عندما ترامت الأنباء إلى « يثرب » أن قافلة ضخمة لقريش تهبط من مشارف الشام عائدة إلى مكة . . . تحمل لأهلها الثروة الطائلة . ألف بعير موقرة بالأموال ، يقودها « أبوسفیان بن حرب » مع رجال لايزيدون على الثلاثين أو الأربعين !

إن الضربة التي تنزل بأهل مكة - لو فقدوا هذه الثروة - موجعة حقاً ، وفيها عوض كامل لما لحق بالمسلمين من خسائر في أثناء هجرتهم الأخيرة ، لذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام : هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فأخرجوا إليها ، لعل الله ينفلكموها . . .

لم يعزم الرسول على أحد بالخروج ولم يستحث متخلفاً ، بل ترك الأمر للرغبة المطلقة ، ثم سار بمن أمكنه الخروج . وكان الذين صحبوا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المرة يحسبون أن مضيهم في هذا الوجه لن يعدوا ما ألفوا في السرايا الماضية ، ولم يدركوا بخلد واحد منهم أنه مقبل على يوم من أخطر أيام الإسلام ! ولو علموا لاتخذوا أهبتهم كاملة ، ولما سُمع لمسلم أن يبقى في المدينة لحظة ! لذلك فترت الهمم عندما وردت أخبار أخري بأن القافلة المطلوبة غيرت طريقها . واستطاع قائدها « أبوسفیان » أن ينجو من الخطر المحقق به ، بعد أن أرسل إلى أهل مكة يستنفرهم لحماية أموالهم ،

ويستشير حميتهم للخروج في تعبئة ترد كل هجوم . . .
وغالب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفتور العارض ،
وحذر صحابته من عقبى العود السريع إلى المدينة أن فاتهم مال
مكة وخرج إليهم رجالها ! وأصر على ضرورة تعقب المشركين
كيف كانوا . . . وذلك قوله تعالى :

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ
الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ
مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

(سورة الانفال)

والذين كرهوا لقاء قريش ، ماكانوا ليهاهبوا الموت ،
ولكنهم لم يعرفوا الحكمة في خوض معركة مباغته دون إتقان
ماينبغي لها من عدة وعدد ، بيد أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وزن الظروف الملايسة للأمر كله ، فوجد الإقدام
خيراً من الإحجام ، ومن ثم قرر أن يمضي ، فإن الحكمة من
توجيه هذه البعوث المسلحة تضيع سُدَّتْ لو عاد على هذا
النحو .

وقد اختفت - على عجل - مشاعر التردد ، وانطلق الجميع
خفافاً إلى غايتهم . والمسير بإزاء طريق القوافل إلى « بدر »
ليس سفراً قاصداً أو نزهة لطيفة . فالمسافة بين « المدينة »
و« بدر » تربو على ١٦٠ كيلو متراً ، ولم يكن مع الرسول
وصحبه غير سبعين بعيراً يتعقبونها .

روى أحمد عن عبدالله بن مسعود ، قال : كنا يوم بدر ،
كل ثلاثة على بعير - أي يتعاقبون - وكان أبو لبابة وعلی بن أبي
طالب زميلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فكانت
عقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا له : نحن نمشي
عنك - ليظل راكباً - فقال : « ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى
عن الأجر منكما » . . . !!

وبث المسلمون عيونهم يتعرفون أخبار قريش : أين القافلة ؟ وأين الرجال الذين قدموا لحمايتها ؟



حين أحس أبو سفيان الخطر على قافلته ، بعث « ضمضم بن عمرو الغفاري » إلى مكة يستصرخ أهلها حتى يسارعوا إلى استنقاذ أموالهم .

واستطاع « ضمضم » هذا إزعاج البلد قاطبة : فقد وقف على بعيره ، بعد أن جدد أنفه ، وحول رحله ، وشق قميصه ، يصيح : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ! أموالكم مع أبي سفيان ، عرض لها محمد وأصحابه ، لا يرى أن تدركوها ، الغوث الغوث !

فتجهز الناس جميعا ، فهم إما خارج وإما باعث مكانه رجلا ، وانطلق سواد مكة وهو يغلى ، يمتطي الصعب والذلول . فكانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا ، معهم مائتا فرس يقودونها ، ومعهم القيان يضربن بالدفوف ويغنين بهجاء المسلمين

وولوا وجوههم إلى الشمال ، ليدركوا القافلة المارة تجاه يثرب هابطة إليهم . لكن أبا سفيان لم يستتم في انتظار النجدة المقبلة ، بل بذل أقصى ماله من حذر ودهاء ، لمخاتلة المسلمين والإفلات من قبضتهم ، وقد كاد يسقط بالعر جمعاء في أيديهم وهم يشدون في مسيرهم نحو بدر ، غير أن الحظ أسعفه !

روى أنه لقي مجدي بن عمرو ، فسأله : هل أحسست أحداً ؟ فقال : مارأيت أحداً أنكره . إلا أني رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل . ثم استقيا في شئ لهما . ثم أنطلقا . فأق أبو سفيان مناخها ، وتناول بعرات من فضلات الراحلتين ثم فتها فإذا فيها النوى . فقال : هذه والله علائف يثرب ! وأدرك

ان الرجلين من أصحاب محمد . وأن جيشه هنا قريب !
فرجع إلى العير يضرب وجهها عن الطريق ، شارداً نحو
الساحل ، تاركاً بدراً إلى يساره . . فنجا .
ورأى أبوسفيان أنه أحرز القافلة فأرسل إلى قريش يقول :
إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم . وقد نجاها
الله . فارجعوا .

فقال أبو جهل : والله لانرجع حتى نرد بدراً ، فنقيم فيه
ثلاثاً ، ننحر الجزور ، ونطعم الطعام ، ونسقى الخمر ،
وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب ، وبسيرنا وجمعنا ،
فلا يزالون يهابوننا أبداً . .

وهذا الذي عالن به أبو جهل ، هو ما كان يحاذره الرسول
عليه الصلاة والسلام فإن تدعيم مكانة قريش ، وامتداد
سطوتها في هذه البقاع - بعد أن فعلت بالمسلمين ما فعلت -
يعتبر كارثة للإسلام ، ووقفاً لنفوذها ، وهل كانت السرايا تخرج
من المدينة إلا لإعلاء كلمة الله وتوهين كلمة الشرك ، وإظهار
عبدة الأصنام بمظهر الذي لا يملك نفعا ولا ضرا ؟

لذلك لم يلتفت الرسول لفرار القافلة ، التفاته لضرورة
التجوال المسلح في هذه الأنحاء ، إبرازاً لهذه المعاني القوية ،
وتمكيناً لصداها في القلوب .

ومضت قريش في مسيرها ، مستجيبة لرأى أبي جهل حتى
نزلت بالعدوة القصوى من وادي بدر ، وكان المسلمون قد
انتهوا من رحيلهم المضني إلى العدو الدنيا .

وهكذا اقترب كلا الفريقين من الآخر ، وهو لا يدري
ما وراء هذا اللقاء الرهيب .

وهبط الليل فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علياً والزبير
وسعداً ، يتحسسون الأحوال ويلتمسون الأخبار ، فأصابوا
غلامين لقريش كانا يمدانهم بالماء ، فأتوا بهما ، وسألوهما -

ورسول الله قائم يصلى - فقالا : نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء .

فكره القوم هذا الخبر ، ورجّوا أن يكونا لأبي سفيان - لا تزال في نفوسهم . بقايا أمل في الاستيلاء على القافلة ! - فضربوهما ضرباً موجعا حتى اضطرّ الغلامان أن يقولوا : نحن لأبي سفيان ! فتركوهما ، وركع رسول الله وسجد سجديته وسلم ، وقال : إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما ! . . !

صدقا والله إنهما لقريش ، ثم قال للغلامين : أخبراني عن قريش ! قالوا : هم وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، فقال لهما : كم القوم ؟

قالا : كثير ! قال ماعدتهم ؟ قالوا : لاندري ! قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوما تسعا ، ويوما عشرا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . القوم ما بين

التسعمائة إلى الألف ثم قال لهما : فمن فيهم من اشراف قريش ؟

قالا : عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وأبو البختری بن هشام ،

وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر ،

وطعيمة بن عدی ، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود ،

وعمر بن هشام ، وأمّية بن خلف . . . الخ

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال :

هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها . .

وانكشف وجه الجد في الأمر ، إن اللقاء المرتقب سوف

يكون مُرّ المذاق .

لقد أقبلت قريش تحب في خيلائها ، تريد أن تعمل العمل

الذي يرويه القصيد ، وتذرع المطايا به البطاح ، وتحسم به

صراع خمسة عشر عاماً مع الإسلام ، لتنفرد - بعدها - الوثنية

بالحكم النافذ . . .

ونظر الرسول حوله ، فوجد أولئك المؤمنين ، بين مهاجر
باع في سبيل الله نفسه وماله . وأنصارى ربط مصيره وحاضره
بهذا الدين الذى افتداه وآوى أصحابه .
فأحب أن يشعر القوم بحقيقة الموقف ، حتى يبصروا - على
ضوئه - ما يفعلون .

إن المرء قد تفجؤه أحداث عابرة وهو ماضٍ في طريقه -
يحتاج في مواجهتها ، لأن يستجمع مواهبه ، وأن يستحضر
تجاربه ، وأن يقف أمامها حاداً الانتباه ، مرهف الأعصاب ،
وهذه الامتحانات المباغته أدق في الحكم على الناس ، وأدل
على قيمهم ، من الامتحانات التى يعرفون ميعادها ،
ويتقدمون إليها ، واثقين مستعدين .



المسلمون الذين خرجوا لأمر يسير ، ما لبثوا أن ألفوا
أنفسهم أمام امتحان شاق ، تيقظت له مشاعرهم ، فشرعوا
يقلبون - على عجل - تكاليفه ونتائجه . وثار منطق اليقين
القديم فأهاج القوم إلى الخطة الفذة التى لا محيص عنها لمؤمن .
استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس . فقام
أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب ،
فقال وأحسن . ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول
الله ، امض لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لانقول لك
ما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا
قاعدون ، ولكن : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما
مقاتلون . فوالذى بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى برك الغماد
لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له .

ثم قال : أشيروا على أيها الناس - وإنما يريد الانصار ،
وذلك أنهم كانوا عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة
قالوا : يارسول الله أنا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ،
فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا . فمنعك مما تمنع منه أبناءنا
ونسائنا .

فكان رسول صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار
ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة .

فلما قال ذلك قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا
يارسول الله ؟ قال : أجل . فقال : قد آمننا بك وصدقناك ،
وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا
ومواثيقنا على السمع والطاعة لك ، فامض يارسول الله لما
أردت ، فنحن معك . فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت
بنا البحر فحضته ، لحضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ،
وما نكره ان تلقى بنا عدونا غدا . إنا لصبر في الحرب ، صدق
عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر على بركة
الله .

وفي رواية : لعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك
غيره ، فانظر الذي أحدث الله إليك فامض ، فصل حبال من
شئت ، واقطع حبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من
شئت ، وخذ من أموالنا ماشئت ، وأعطنا ماشئت ،
وما أخذت منا ، كان أحب إلينا مما تركت .

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول « سعد » ونشطه
ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى
الطائفتين . والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم . .
تأهب المسلمون لخوض المعركة . . وعسكروا في أدنى ماء
من بدر .

فجاء الحباب بن المنذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

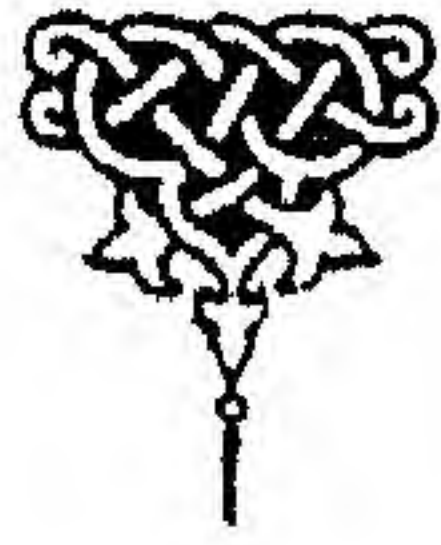
فقال : رأيت هذا المنزل ، أمزلا أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولانتأخر عنه ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة ! قال : يارسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، امض بالناس حتى نأتى أدنى ماء من القوم فنعسكر فيه ، ثم نغور ماوراءه من الآبار ، ثم نبني عليه حوضا فتملأه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولايشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . . ثم أمر بإنفاذه ، فلم يجيء نصف الليل حتى تحوّلوا كما رأى الحباب ، وامتلكوا مواقع الماء .

وقضى المسلمون ليلا هادىء الأنفاس منير الآفاق ، غمرت الثقة قلوبهم وأخذوا من الراحة قسطهم ، وتساقط عليهم مطر خفيف رطب حوهم الجوى وجعل نسائم الصباح تهب عليهم فتعش صدورهم وتجدد أملهم ، وكان الرمل تحت أقدامهم دهسا فتلبّد وتماسك ، وجعل حركتهم عليه ميسرة « إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمْنَةً مِنْهُ ، وَيُنزَّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيَطَهَّرَ بِكُمْ بِهِ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ » .

وكان رسول الله علي وسلم يتفقد الرجال ، وينظم الصفوف ، ويسدى النصائح ، ويذكر بالله والدار الآخرة . ثم يعود إلى عريش هيبه له ، فيستغرق في الدعاء الخاشع ، ويستغيث بأمداد الرحمن .

ووقف أبوبكر إلى جوار الرسول عليه الصلاة والسلام وهو يكثر الابتهاج والتضرع ، ويقول فيما يدعو به : « اللهم إن تهلك هذه العصاة لاتعبد بعدها فى الأرض » . وجعل يهتف بربه عز وجل ويقول : « اللهم أنجزلى ما وعدتني ، اللهم نصرک » ويرفع يديه الى السماء حتى سقط رداؤه عن منكبيه

وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه ويسوي عليه رداءه ويقول -
مشفقاً عليه من كثرة الابتهاال - : يا رسول الله ، بعض
مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك .



❖ ابوجهل .. والعناد إلى آخر رمق ❖

وتزاحف الجمعان ، وبدأ الهجوم من قبل المشركين ، إذ هجم الأسود بن عبد الأسد على الحوض الذي بناه المسلمون قائلاً : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتنّ دونه !

فتصدى له حمزة بن عبدالمطلب ، فضربه ضربة أطارت نصف ساقه ، ومع ذلك حبا إلى الحوض يبغى اقتحامه ، وتبعه حمزة يقاتله حتى قتله فيه !

فبرز من المشركين عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة . فخرج للقاتلهم فتية من الأنصار ،

فنادوا : يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، وقيل : إن الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه هو الذي استرجع أولئك الأنصار رغبة منه ان تكون عشيرته أول من يواجه العدو في مثل هذا الموقف . فقال : قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا عليّ فبارز عبيدة عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز عليّ الوليد . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وكذلك فعل عليّ مع خصمه ، وأما عبيدة وعتبة ، فقد جرح كلاهما الآخر .

فكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة فأجهزا عليه ، واحتملا صاحبهما ، فجاءوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأفرشه الرسول قدمه ، فوضع خده على قدمه الشريفة وقال : يا رسول الله لو رأني أبوطالب لعلم أني أحق بقوله :

ونسلمه حتى نصّرغ دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل .. ثم أسلم الروح ..

واستشاط الكفار غضبا للبداية السيئة التي صادفتهم ،
فأهطوا المسلمون وابلا من سهامهم ، ثم حمى الوطيس
وتهاوت السيوف ، وتصايح المسلمون : أحد . . أحد وأمرهم
الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكسروا هجمات المشركين .
وهم مرابطون في مواقعهم . . وقال : إن اكتنفكم القوم
فانضحوهم عنكم بالنبل ، ولا تحملوا عليهم حتى تؤذنوا .
فلما اتسع نطاق المعركة واقتربت من قيمتها كان المسلمون قد
استنفدوا جهد أعدائهم وألحقوا بهم خسائر جسيمة ، والنبى
في عريشه يدعو الله ويرقب بطولة رجاله وجلدهم .
قال ابن إسحاق . « خفق النبى عليه الصلاة والسلام خفقة في
العريش ثم انتبه فقال : أبشر يا أبابكر أتاك نصر الله هذا
جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع . . !!
لقد انعقد الغبار فوق رءوس المقاتلين ، وهم بين كرفٍ وقرٍ .
جند الحق يستبسلون لنصرة الرحمن . وجند الباطل قد ملكهم
الغرور فأغراهم أن يغالبوا القدر .
فلا عجب إذا نزلت ملائكة الخير تنفث في قلوب المسلمين
روح اليقين ، وتحضهم على الثبات والإقدام .
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانه الى الناس
فحرضهم قائلا . « والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم
رجل فيقتل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله
الجنة » .

إن التأميل في الآخرة هو بضاعة الأنبياء . . وهل لأصحاب
العقائد وفداة الحق من راحة إلا هناك ؟ . . وعمل هذا
التحريض عمله في القلوب المؤمنة .
روى أحمد أن المشركين لما دنوا ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لأصحابه . قوموا إلى جنة عرضها السموات
والأرض . فقال عمير بن الحمام الأنصارى :

يارسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟ قال :

نعم . قال : بخ بخ .
قال رسول الله : وما يملك على قول بخ بخ ؟ قال :
لا والله يارسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها !
قال : فإنك من أهلها .

فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن . ثم قال : لئن
أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها حياة طويلة . فرمى
ماكان معه من التمر ثم قاتلهم وهو يقول :
رُكُضاً إلى الله بغير زاد إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد وكل زاد عرضة النقاد
غير التقى والبر والرشاد

فما زال حتى قتل . . !

ووهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الايمان الزاهد في
متاع الحياة الدنيا . . وراعهم محمد عليه الصلاة والسلام ،
وقد نزل بنفسه إلى الميدان يقاتل أشد القتال ، ومعه أصحابه
يشتدون نحو عدوهم لا يباليون شيئاً ، فانكسرت قريش
وأخذها الفرع .

وصاح النبي عليه الصلاة والسلام - وهو يرى كبرياء الكفر
تُمرغ في التراب - « شامت الوجوه . . » .
فانهزمت قريش . .

وذلك قول الله في كتابه :

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنْي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا
سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ
الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

(سورة الانفال)

وحاول « أبو جهل » أن يقف سبيل الهزيمة النازل بقومه ،
فأقبل يصرخ بهم ، وغشاوة الغرور لاتزال ضاربة علي عينيه ،
« واللات والعزى لانرجع حتى نفرقهم في الجبال . . خذوهم
أخذاً » .

وماذا تفعل صيحات الطيش بإزاء الحقائق المكتسحة ؟ لكن
أبا جهل - والحق يقال - كان تمثالا للعناد إلى آخر رمق .
والطمس المنسوج على بصيرته جزء من كيانه لاينفك عنه
أبداً ، لذلك أقبل يقاتل في شراسة وغضب وهو يقول :
ماتنقم الحرب الشموس منى ؟ بازل عامين حديث سنى !

لمثل هذا ولدتنى أُمى

وأحاطت به فلوك المشركين يقولون : أبا الحكم لاينخلص
إليه ، فكان بينهم وسط غابة ملتفة . بيد أن هذه الغابة لم
تلبث أن تهاوت جذعاً جذعاً ، أمام حماس المؤمنين الذين اشتد
بأسهم ، وأغرتهم بشائر الفوز . وساد هتافهم الموقعة وهم
يقولون ؛ أحد أحد .

قال عبدالرحمن بن عوف : إني لفي الصف يوم بدر ، إذ
التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان حديثا السن ، فكأنى لم
أمن بمكانها ، إذ قال لى أحدهما سراً من صاحبه : يا عم ،
أرنى أبا جهل ، فقلت : يا ابن أخى ماتصنع به ؟ قال :
عاهدت الله إن رأيت أنه أقتله أو أموت دونه !! وقال لى الآخر
سراً من صاحبه مثله . قال : فما سرنى أننى بين رجلين
مكانها .

فأشرت لهما إليه فشدوا عليه مثل الصقرين ، فضرباه حتى قتلاه ، وهما ابنا عفراء ، ويظهر أنها تركاه بين الحياة والموت ، وقد استشهد البطلان في هذه الواقعة ، ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصرعهما يدعو لهما ويذكر صنيعتهما . أما أبو جهل فقد سقط مكانه يلفظ أنفاسه ، وتفرق المشركون بعده بددا ، وتركوا سيقانهم للريح ، تبعثرهم في فجاج الصحراء ، كما تبعثر كثيبا من الرمل المنهار .
ومر عبدالله بن مسعود بالقتلى فوجد أبا جهل فيهم ، لا يزال به رمق ، فجثم على صدره يبغى الاجهاز عليه ، وتحرك «أبوجهل» يسأل لمن الدائرة ؟

قال عبدالله :

لله ورسوله ثم استتلى عبدالله : هل اخزاك الله يا عدو الله ؟ قال : وبماذا اخزاني ؟ هل أعمد من رجل قتله قومه ؟ وتفرس في عبدالله ثم قال له : ألسنت رويعينا بمكة ؟ فجعل عبدالله يهوى عليه بسيفه حتى خمد .
ولقي مثل هذا المصير الفاجع سبعون صنيديدا من رءوس الكفر بمكة ، دارت عليهم كؤوس الردى فتجرعوها صاغرين وسقط في الاسر سبعون كذلك .

وفر بقية التسعمائة والخمسين يروون لمن خلفهم ان الظلم مرتعه وخيم ، وان البطر يجر في اعقابه الخزي والعار .



وفتح المسلمون عيونهم على بشاشة الفوز تضحك لهم خلال الارض والسماء ، ان هذا الظفر المتاح رد عليهم الحياة والامل والكرامة وخلصهم من أغلال ثقال « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة . فاتقوا الله لعلكم تشكرون »
وكانت عدة من استشهد منهم اربعة عشر رجلا ، استأثرت

بهم رحمة الله ، فذهبوا الى غليين . ثبت عن أنس بن مالك ، ان حارثه بن سراقة ، قتل يوم بدر ، وكان في النظارة ، اصابه سهم طائش فقتله ، فجاءت امه فقالت : يا رسول الله ، اخبرني عن حارثة ؟ فإن كان في الجنة صبرت ، وإلا فليرين الله ما أصنع - تعنى من النياحة - وكانت لم تحرم بعد !! فقال لها الرسول : ويحك أهبلت ؟ إنها جنان ثمان ، وان ابنك أصاب الفردوس الأعلى . . . »

فإن كان هذا جزاء النظارة الذين اختطفتهم سهام طائشة ، فكيف بمن خاض الى المنايا الغمرات الصعاب ؟ . . . في هذه المعركة التقى الآباء والابناء ، والإخوة . خالفت بينهم المبادئ ، ففصلت بينهم السيوف . وفي عصرنا هذا قاتل الشيوعيون مواطنيهم ، ومزقوا أغلى الاواصر الانسانية في سبيل ما يعتنقون . فلا عجب إذا رأيت الابن المؤمن يغاضب أباه الملحد ، ويخاصمه في ذات الله . والقتال الذي دار بـ« بدر » سجل صورا من هذا النوع الحاد .

كان ابوبكر مع رسول الله ، وكان ابنه عبدالرحمن يقاتله مع أبي جهل .

وكان عتبة بن ربيعة أول من بارز المسلمين . وكان ولده أبو حذيفة من خيار أصحاب النبي . فلما سحبت جثة عتبة لترمي في القليب ، نظر الرسول الى أبي حذيفة ، فإذا هو كئيب قد تغير لونه ! فقال له : يا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء ؟ فقال : لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا ، فكنت أرجو ان يهديه ذلك الى الاسلام . فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ، احزنني ذلك !

فدعا له رسول الله بخير . وقال له خيرا .

وأمر رسول الله بقتلى المشركين فطرحوا في القليب . وروى
انه قال عند مرآهم « بشس عشيرة النبي كنتم لنبيكم ،
كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ،
وقاتلتمونى ونصرنى الناس » فلما ووريت وأهيل التراب على
رفاتهم . انصرف الناس وهم يشعرون ان أئمة الكفر قد
استراح الدين والدنيا من شرورهم . الا ان النبي استعاد
ماضيه الطويل فى جهاد أولئك القوم .

كم عالج مغاليقهم وحاول هدايتهم ؟ وكم ناشدهم الله
وخوفهم عصيانه وتلا عليهم قرآنه ؟

وهم - على طول التذكير - يتبجحون وبالله وآياته ورسوله
يستهزئون فخرج النبي فى جوف الليل حتى بلغ القليب المطوى
على أهله . وسمعه الصحابة يقول : « يا أهل القليب يا عتبة
بن ربيعة ، يا شبيهه يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام هل
وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربي حقا ؟
فقال المسلمون : يارسول الله أتنادى قوما جيفوا ؟ قال : ما
انتم بأسمع لما أقول منهم ! ولكنهم لا يستطيعون ان يجيبونى »
كانت وقعة بدر فى السابع عشر من رمضان لستين من
الهجرة . وقد أقام رسول الله صلى عليه وسلم ببدر ثلاثا ، ثم
قفل عائدا الى المدينة ، يسوق أمامه الأسرى والغنائم ! ورأى
قبل دخولهم ان يعجل البشرى إلى المسلمين المقيمين فيها ،
الذين لا يدرون مما حدث شيئا .

فأرسل « عبدالله بن رواحة » و « زيد بن حارثة » بشيرين
يؤذنان الناس بالنصر العظيم .

قال « اسامة بن زيد » فأتانا الخبر حين سويانا التراب على
رقية بنت رسول الله ! وكان زوجها عثمان بن عفان قد احتبس
عندها يمرضها بأمره وضرب رسول الله له بسهمه واجره فى
بدر .

﴿ الجوع والعري .. عندما يطول أحدهما ﴾

برغم ما سجله التاريخ من تجمل ومواساة بين الأنصار والمهاجرين ، فإن متاعب العيلة ومشكلات الفقر تفشت خلال المجتمع الجديد، ان سترها التعفف حيناً، ابرزتها الحاجة حيناً آخر، والأزمات التي تصاحب تكوين دولة من العدم وسط امم تكيد لها وتربص بها الدوائر ، يجب ان تتوقع وان توطن النفوس على احتمالها ، وألا تكون حدة الشعور بها سبباً في ضعف السيرة وعجز الهمة . . .

وقد أخذ الله المسلمين - قبل معركة بدر وبعدها - بأمور بدرت منهم ، يجب لهم ان يتنزهوا عنها ، مهما بلغ من شدة الدوافع والمبررات لارتكابها .

فهم يوم خرجوا من يثرب لملاقاة مشركى مكة ، تعلقت امانيتهم بإحراز العير وما تحمل من ذخائر ونفائس . . .
حقاً إنهم اخرجوا من ديارهم وأموالهم ، وضحوا في سبيل الله بأنفسهم وأولادهم . . . فليمضوا في طريق الفداء الى المرحلة الأخيرة ، ومهما عضهم الفقر بناه ، فليكن التنكيل بالكافرين ارجح في ميزانهم من الاستيلاء على الغنيمة .

﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ
أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ
يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾

(سورة الانفال)

ومن هذا القبيل تسابقهم بعد النصر الى حيازة الغنائم ومحاولة كل فريق الاستئثار بها .

عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع النبي فشهدت معه بدرا فالتقى الناس ، فهزم الله العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يطاردون ويقتلون ، وأكبت طائفة على المغنم يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم الى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حويناها ، وليس لأحد فيها نصيب .

وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم أحق بها منا ، نحن نحينا منها العدو وهزمناه .

وقال الذين احدقوا برسول الله : خفنا ان يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به ، فأنزل الله « يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين » فقسمها رسول الله بين المسلمين .

هذا التنازع المؤسف إثر البأساء الشاملة التي لحقت بالمهاجرين والانصار على السواء ، وقد نظر رسول الله الى مظاهر هذا البؤس على اصحابه وهم خارجون الى بدر ، فرثى لحالهم ، وتألم لما بهم ، وسأل الله ان يكشف كرباتهم .

فعن عبدالله بن عمرو قال : خرج رسول الله يوم « بدر » في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلا من اصحابه ، فلما انتهى اليها قال : اللهم انهم جياع فأشبعهم ، اللهم انهم حفاة فأحملهم ، اللهم انهم عراة فأكسهم « ففتح الله له يوم بدر ، فانقلبوا حين انقلبوا ، وما منهم رجل الا وقد رجع بحمل او حملين واكتسوا وشبعوا »

ان الجوع والعري عندما يطول أمدهما يتركان في النفوس ندوبا سيئة ، ويدفعان الافكار في مجرى ضيق كالح ، على ان

هذه الأزمات ان اخرجت العامة واهاجتهم الى طلب الغذاء والكساء لأنفسهم وذراريهم بحرص ومجاهرة ، فإن المؤمنين الكبار ينبغي أن يثمانسكوا ، وان يكتموا أحاسيس الفاقة الملحة فلا يتنازعوا على شيء .. !

وذلك الأدب هو ما أخذ الله به المسلمين ، وافتتح به السورة التي تحدثت عن القتال في بدر .. .
ذلك ان الخاصة من الرجال هم قدوة غيرهم ، فإذا ساءت أخلاقهم للضوائق العارضة واضطرب مسلكهم فسيكون سواد الشعب الى مزلق الفوضى أسرع .. . وقد رأينا « الألمان » في الحرب العالمية الأولى و« الانجليز » في الحرب العالمية الثانية شدد عليهم الحصار حتى هزلت الأجسام ، واصفرت الوجوه ، وما صابرت الجماهير هذه المجاعات إلا وراء قاداتها المصابرين المتجملين .



ومما حاسب الله عليه المسلمين حسابا شديدا موقفهم بإزاء الأسرى ، فان الرغبة في استبقائهم للانتفاع من ثرواتهم غلبت الآراء الأخرى بضرورة الاقتصاص من مآثمهم السابقة ، حتى يكونوا نكالا لما بين ايديهم وما خلفهم وموعظة للمتقين .. .
استشار رسول الله صلى عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً ، فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والانحوان ! واني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار ، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟

قال : قلت والله ماأرى مارأى أبوبكر، ولكن أرى أن تمكنني من فلان - قريب لعمر- فأضرب عنقه، وتمكن عليا من عقيل بن ابي طالب ، فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان اخيه ، فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليست في قلوبنا هواده للمشركين ، وهؤلاء صنائدهم وأئمتهم وقادتهم . . . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبوبكر ، ولم يهو ما قلت ، واخذ منهم الفداء ، فلما كان من الغد قال عمر : فغدوت الى النبي عليه الصلاة والسلام وابي بكر وهما يبكيان ! فقلت : يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . للذي عرض على اصحابك من أخذهم الفداء !! قد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - .
وانزل الله تعالى :

﴿ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْخِنَ فِي الْأَرْضِ
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾

(سورة الانفال)

ان الوقوع في الاسر لايعنى صدور عفو عام عن الجرائم التي اقترفها الاسرى أيام حريرتهم ، وهؤلاء الطغمة من كبراء مكة ، لهم ماض شنيع في ايداء الله ورسوله ، وقد ابطرتهم منازلهم ، فساقوا عامة مكة الى حرب ، ما كان لها من داع ، فكيف يتركون بعد ان استمكنت الايدي من خناقهم ؟ اذلك لأن لهم ثروة يفتدون بها ؟ ما كان يليق ان ينظر

المؤمنون الى هذه الاعراض التافهة متناسين ما فرط من اولئك الكفار في جنب الله .

إنهم مجرمو حرب - بالاصطلاح الحديث - لا اسرى حرب ، وقد ندد القرآن بخيانتهم لقومهم بعد كفرهم بنعمة الله عليهم فقال :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَيَنْسُونَ الْقَرَارَ ﴿٢٩﴾ ﴾

(سورة ابراهيم)

وهناك نصوص توصي برعاية الاسرى واطعامهم وتشريع القوانين الرحيمة في معاملتهم ، وهذه تنطبق على جماهير الأسرى من الأتباع والعامه .

أما الذين تاجروا بالحروب لاشباع مطامعهم الخاصة فيجب استئصال شأفتهم ، وذلك هو الاثخان في الارض .

ان الحياة كما تتقدم بالرجال الأخيار ، فإنها تتأخر بالعناصر الخبيثة ، واذا كان من حق الشجرة لكي تنمو ان تقلم ، فمن حق الحياة لكي تصلح ، ان تنقى من السفهاء والعتاة والاثمين ، ولن يقوم عوض ابدا عن هذا الحق ، ولو كان القناطير المقنطرة من الذهب ، وقد اسمع الله نبيه وصحابته هذا الدرس ، حتى اذا وعوه وتدبروه عفا عنهم ثم اباح لهم - من رحمته بهم - الانتفاع بما اخذوا من فداء فقال :

﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ

رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾

(سورة الانفال)

شقة العداوة تتسع بين المسلمين واليهود

شدة العرب قاطبة للنصر الحاسم الذي ناله المسلمون في بدر ، بل ان أهل مكة استنكروا الخبر اول ما جاءهم ، وحسبوه هذيان مجنون ، فلما استبان صدقه ، صعق نفر منهم فهلك لتوه ، وماج بعضهم في بعض من هول المصاب لا يدري ما يفعل . . .

وكما استبعد أهل مكة الهزيمة على انفسهم حتى جوبهوا بعارها ، استبعد مشركو المدينة ويهودها ما قرع أذانهم من بشریات الفوز ، وذهب بعضهم الى حد اتهام المسلمين بأن ما يذاع عن نصرهم محض اختلاق وظلوا يكابرون حتى رأوا الاسرى مقرنين في الاصفاد ، فسقط في أيديهم .

وقد اختلفت مسالك الأحزاب بإزاء المسلمين بعد هذا الغلب الذي مكن للإسلام وأهله ، وجعل سلطانهم مهيباً في المدينة وما حولها ، ومد نفوذهم على طرق القوافل في شمال الجزيرة ، فيصبح لا يمر بها احد الا بإذنهم .

فأما أهل مكة فقد اتطوا على انفسهم ، يداوون جراحهم ، ويستعيدون قواهم ويستعدون لنيل ثأرهم ، ويعلنون ان يوم الانتقام قريب ، ولم تزدهم الهزيمة إلا كرها للإسلام . ونقمة على محمد وصحبه ، واضطهاداً لمن يدخل في دينه ، فكان من ينشرح صدره للإسلام يختفى به او يعيش ذليلاً مستضعفاً .

ذلك في مكة ، حيث كانت الدولة للكفر .
اما في المدينة حيث المسلمون كثرة مكينة ظاهرة ، فقد اتخذت العداوة للإسلام طريق الدس والنفاق والمخاتلة ،

فأسلم فريق من المشركين واليهود ظاهرا ، وقلوبهم تغلى حقدا وكفرا ، وعلى رأس هؤلاء عبدالله بن أبي .
 روى أسامة بن زيد قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب - كما أمرهم الله تعالى - ويصبرون على الأذى :

﴿ وَذَكَرْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ
 إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِمَّنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ
 لَهُمُ الْحَقَّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾

(من الآية ١٠٩ سورة البقرة)

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما أمره الله به - حتى اذن فيهم - .

فلما غزا بدرًا وقتل فيها من قتل من صناديد قريش ، وقفل رسول الله عليه الصلاة والسلام واصحابه منصورين غاثين معهم اسراهم ، قال « عبدالله بن أبي » ومن معه من المشركين عبدة الاوثان : هذا امر قد توجه (اى استمر فلا مطمع في ازالته) فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فأسلموا . . على ان هذا الخداع لاذ به فريق من الكفار في الوقت الذى عالن فريق اخر من اليهود بسخطهم على محمد ، وألمهم للهزيمة التى اصابت قريشا فى « بدر » بل ان كعب بن الاشرف من رجالات يهود - ارسل القصائد فى رثاء قتلاهم والمطالبة بثأرهم .

وقد اتسعت شقة العداوة بين المسلمين واليهود اثر هذا الموقف النابى . ثم حاول اليهود ان يحقروا من النصر الذى حظى به الاسلام بما مهد للاحداث العنيفة التى وقعت بعد ، ودفع اليهود ثمنها من دمهم افرادا وجماعات . . . اما البدو

الضاربون حول المدينة ، وعلى طرق القوافل ، فهم قوم همل
لا يهمهم شيء من قضايا الكفر والايان ، انما يهمهم اكتساب
القوت من اى وجه ، والحصول عليه ولو عن طريق السلب
والنهب . وتاريخهم الحديث مع قوافل الحجاج شاهد صدق
على انهم لا يراعون حرمة ولا ينجشون الا القوة . ولولا بطش
السعوديين بهم ما امن طريق الحج قط ! وقد سبق لهم استياع
نعم المدينة ، وماورثوه من جاهلية طامسة ، جعل قلوبهم مع
مشركى الجزيرة ، وقد ذعروا لانتصار المسلمين فى بدر ،
واخذت جموعهم تحتشد ، تبغى انتهاز فرصة للاغارة على
المدينة ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم نهض الى جموعهم
فشتتها ، ولم يلق فى اربابهم متاعب ذات بال .



﴿﴾ وجاء يوم الفتح الأعظم ﴿﴾

شغل المسلمون بعد عهد الحديبية بنشر الدعوة وعرض
تعاليم الإسلام على كل ذى عقل . وكان وفاؤهم لقريش أمراً
مقررأ فيما أحبوا وفيما كرهوا . ورأى الناس من ذلك الآيات
البيانات . . .

لكن قريشا ظلت على جمودها القديم فى ادارة سياستها ،
غير واعية للأحداث الخطيرة التى غيرت مجرى الأحوال فى
الجزيرة العربية ، وتوشك أن تغيره فى العالم كله .
وقد جرَّها فقدان هذا الوعى إلى حماقة كبيرة أصبح بعدها
عهد الحديبية لغواً .

وذلك أنها - مع حلفائها من بنى بكر - هاجموا خزاعة - وهى
مع المسلمين فى حلف واحد - وقتلوهم فأصابوا منهم رجالاً .
وانحازت خزاعة إلى الحرم ، إذ لم تكن متأهبة لحرب ، فتبعهم
بنو بكر يقتلونهم ، وقريش تمدهم بالسلاح وتعينهم على
البغى .

وأحس نفر من بنى بكر أنهم دخلوا الحرم - حيث لا يجوز
قتال - فقالوا لرئيسهم نوفل بن معاوية : إنا قد دخلنا الحرم ،
إلهك إلهك . فقال نوفل : لا إله اليوم يا بنى بكر . . . أصيبوا
ثأركم . . . !!

وفزعت خزاعة لما حل بها ، فبعثت إلى رسول الله « عمرو
بن سالم » يقص عليه نبأها . فلما قدم المدينة ، وقف على النبى
صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد بين ظهراى الناس
يقول :

يارب إني ناشد محمداً حلفَ أبينا وأبيه الأتلدا
 قد كنت ولداً وكننا والداً ثُمت أسلمنا فلم نترع يدا
 فانصر هداك الله نصرأ أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا
 فيهم رسول الله قد تجردا أبيض مثل البدر يسمو صعدا
 إن سيم خسفا وجهه تربدا في فيلق كالبحر يجرى مُزبدا
 إن قريشا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
 وجعلوا لي في كداء رصداء وزعموا أن لست أدعو أحدا
 وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هُجدا
 وقتلونا رُغماً وسجداً

فقال له رسول الله : نصرت يا عمرو بن سالم .



وأحست قريش - بعد فوات الأوان - خطأها ، فخرج
 أبو سفيان إلى المدينة يصلح ما أفسده قومه ، ويحاول أن يعيد
 للعقد المهدر حرمة !

وبلغ المدينة فذهب إلى ابنته أم حبيبة ، وأراد أن يجلس على
 الفراش ، فطوته دونه ، فقال : يا بنية ما أدري ، أرغبت بي
 عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟ .

فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 وأنت مشرك نجس ! قال : والله فقد أصابك بعدى شر ! ثم
 خرج حتى أتى رسول الله فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً .
 واستشفع أبو سفيان بأبي بكر ليحدث النبي في هذا الشأن
 فرفض . فتركه إلى عمر ، فقال عمر : أنا أشفع لكم عند
 رسول الله ؟ والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به .

فتركها إلى عليّ فرد عليه : والله يا أبا سفيان لقد عزم رسول
 الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه ، ثم نصحه أن يعود من

حيث جاء . . . فقفل أبو سفيان إلى قومه يخبرهم بما لقي من صدود .

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس أن يتجهزوا ، وأعلمهم أنه سائر إلى مكة ، وأوصاهم بالجد والبدار . وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها ! واستمع المسلمون لأمر نبيهم ، فمضوا يعبثون قواهم للقاء المنتظر ، وهم مدركون أن الساعة الفاصلة مع أهل مكة قد دنت .



ووقع في هذه الفترة الدقيقة حادث مستغرب ، فإن رجلا من أهل السابقة في جهاد المشركين تطوع بإرسال كتاب إلى قريش يخبرهم فيه أن محمداً سائر إليهم بجيشه . . . !! وقد رأيت أن المسلمين حراس على إخفاء خطة الغزو ، ليس مما يقرب نجاحهم ويخفف خسائرهم ، ولعله يدفع قريش إلى التسليم دون أن تسفك الدماء عبثاً؟؟ وما معنى الكتابة إليهم إلا التحريض على حرب الله ورسوله ، والاستكثار من أسباب المقاومة ؟

عن علي بن أبي طالب : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة « خاخ » فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوه منها فانطلقنا تَعَادَى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فاذا نحن بالظعينة . فقلنا : أخرجني الكتاب . فقالت : ما معي ! فقلنا : لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب !! فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإذا فيه « من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس بمكة من المشركين يخبرهم ببعض أمر رسول الله » فقال : يا حاطب ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله لا تعجل علي . إني كنت امرأ

ملصقا في قريش - كنت حليفا لها ولم أكن من صميمها - وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات - يحمون بها أهليهم وأموالهم . فأحببت ، إذا فاتني ذلك من النسب فيهم ، إن أتخذ عنهم يدا يحمون بها قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما انه قد صدقكم ! فقال عمر : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ! فقال : إنه قد شهد بدراً . وما يدريك ؟ . . . لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . . . ؟

ونزل قول الله تبارك وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ ﴾

(سورة المتحنة)

إن حاطبا خرج عن جادة الصواب بهذا العمل وما كان له أن يوادَّ المشركين وهم الذين تبجحوا بالكفران وتظاهروا على العدوان وصنعوا بالمسلمين ما « حاطب » أعلم به من غيره .

لكن الانسان الكبير تعرض له فترات يصغر فيها ، والله أبرُّ بعباده من أن يؤاخذهم بسورات الضعيف التي تعرف نورهم فيخبو ، وسعيهم فيكبو .

وقد استكشف النبي صلى الله عليه وسلم خبيثة حاطب ،
فعرف إنه لم يكذبه في اعتذاره ، إنهم مقبلون على معركة كبيرة
قد ينهزمون فيها ، فتقوم العصبية القديمة بحماية الأقارب
الشاردين ؛ ويبقى حاطب لا حى له ، فليخذ تلك اليد عند
قريش ، حيطة للمستقبل .

ذاك ما فكر فيه حاطب ، وهو خطأ ، فإن المشركين لم
يذكروا في عداوة الإسلام رحماً ولا أهلاً ، وما ينبغي -
ولو دارت علينا الدوائر - أن نبقى لهم وداً ، وقد خاصمناهم في
ذات الله ، وأخذ علينا العهد إن نبذل في حربهم أنفسنا
وأموالنا . . .

ولو جاز اتخاذ يدٍ عندهم فكيف يُتوسَّلُ لذلك بعمل يعد
خيانة كبيرة فادحة ، الإضرار بالإسلام . وأهله ؟
على أن حاطباً شفع له ماضيه الكريم ، فجبرت عثرته ،
وأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يُذكر الرجل
بأفضل ما فيه ، وبهذا التقدير السمع علمنا الإسلام ألا ننسى
الحسنات والفضائل لمن يخطئون حيناً بعد أن أصابوا طويلاً .



﴿ النبي يخرج مطارداً .. ويعود منتصراً! ﴾

سرى القلق في ربوع مكة عقب أوبة أبي سفيان ، ورأى العباس بن عبدالمطلب أن يسلم هو وعياله وأن يهجروا مكة الى المدينة ، فقابلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطريق مقبلاً بجيشه على مكة ، وخرج كذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب ، وعبدالله بن أبي أمية ، فلقيا النبي صلى الله عليه وسلم بالأبواء - وهما ابن عمه وابن عمته - وكانا من أشد الناس إيذاء له بمكة ، فأعرض عنها لما ذكر من مساءتهما . لكن علي بن أبي طالب أشار على ابن عمه أبي سفيان بوسيلة يرضى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال له : ائت من قبلى وجهه وقل له ما قاله إخوة يوسف (تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين) فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه جواباً ، ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

﴿ قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ ﴾

(سورة يوسف)

وأنشده أبو سفيان أبياتاً جاء فيها :

لعمرك إني حين أجمل راية لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكا المدلج الحيران أظلم ليله فهذا أواني ، حين أهدى فأهدى
هداني هاد ، غير نفسي ، ودلني على الله من طردته كل مطرد

فضرب الرسول على صدره وهو يقول له : أنت طردتني كل مطرد .

وسار الجيش يطوى الوهاد والنجاد مسرعا إلى مكة ، حتى بلغ « مر الظهران » قريبا منها في العشاء ، فنزل الجيش ، ونصبت الخيام ، وأوقدت النيران في معسكر يضم عشرة آلاف حتى أضاء منها الوادي ، وأهل مكة في عماية من أمرهم لا يدرون عن القضاء النازل بهم شيئا وعزَّ على العباس أن تُجتاح مكة في أعقاب قتال تتفانى فيه ولا يغنيها فتىلا . فخرج يبحث عن وسيلة تقنع قريشا بمسألة النبي صلى الله عليه وسلم وتدخلها في أمانه .

وصادف ذلك أن ثلاثة من كبراء مكة خرجوا يتعرفون الأخبار ، ويتسمعون ما يقال ، فلما اقتربوا من الوادي راعهم ما به .

قال أبو سفيان زعيم مكة : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكريا !!

فقال بديل بن ورقاء : هذه - والله - خزاعة حمشتها الحرب !

فرد أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكريها

وكان المسلمون على خطتهم المرسومة يبثون العيون حولهم حتى يأخذوا قريشا على غرة فلا ترى من التسليم بُدًا ، فعثرت خيالتهم على رجال قريش أولئك ومعهم حكيم بن حزام فأخذتهم ، وعادت بهم مسرعة الى رسول الله ولحق العباس وهو يعلن أنه في جواره فلما دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم حدثهم عامة الليل ، فانشرحت صدورهم بالإسلام ، وإن كان أبو سفيان قد تأخر إسلامه حتى طلع الصبح ثم سأله الأمان لقريش ، فقال رسول الله : من دخل دار

أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق
بابه فهو آمن .

وإنما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان هذه
الميزة إرضاء لعاطفة الفخر في نفسه ، وقد أرضاه بما لا يضر
أحدا ولا يكلف جهدا ، ولا عليه أن يتحجب إلى نفس بمثل
هذا الثمن الميسور ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن
يستوثق من سير الأمور بعيدا عن الحرب والضرب ، فضم إلى
ذلك المسلك مع أبي سفيان أن أوصى العباس باحتجازه في
مضيق الوادي حتى يستعرض القوى الزاحفة كلها فلا تبقى في
نفسه أثارة لمقاومة ، وهو سيد مكة المتبوع ، قال العباس :
فخرجت بأبي سفيان حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومرت القبائل على راياتها ،
كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هؤلاء ؟ فأقول : سليم !
فيقول : مالي ولسليم ؟ ثم تمر به القبيلة ، فيقول : يا عباس
من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ! فيقول : مالي ولمزينة حتى نفدت
القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا سألتني عنها ، فإذا أخبرته قال :
مالي ولبنى فلان ؟

حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبه
الخضراء ، وفيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق
من الحديد فقال : سبحان الله ! يا عباس من هؤلاء ؟
قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين
والأنصار .

قال : ما لأحد بهؤلاء من قبل ولا طاقة ! والله يا أبا الفضل
لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ! .
قال العباس : يا أبا سفيان ، إنها النبوة ! قال : فنعم
إذن .

ودخل أبو سفيان مكة مبهورا مدعورا ، وهو يحس أن من ورائه إعصارا إذا انطلق اجتاح ما أمامه ، فما يقف دونه شيء ، ورأى أهل مكة الجيش الفاتح يقبل من بعيد رويدا رويدا ، فاجتمعوا على سادتهم ينتظرون الأوامر بالقتال ، فإذا بصوت أبي سفيان ينطلق عاليا واضحا : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن !

وشدته امرأته هند بنت عتبة وهي تسمع من زوجها هذا الكلام ، فوثبت إليه وأخذت بشاربه تلويه وصاحت : اقتلوا الحميت الدسم الأحمش - أي هذا الزق المتفخخ - قبحت من طليعة قوم !!

ولم يكثر أبو سفيان لسباب امرأته فعادوا تحذيره : ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم ما لا قبل لكم به ! فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن .

قالوا : قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ؟ قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فترقب الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

وأصبحت « أم القرى » وقد قيد الرعب حركاتها ، واسترخت تجاه القدر المنساق إليها . فاختفى الرجال وراء الأبواب الموصدة ، أو اجتمعوا في المسجد الحرام يرقبون مصيرهم وهم واجمون .

على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ، ورسول الله على ناقته ، تتوج هامته عمامة دسما ، ورأسه خفيض من شدة التخشع لله ، لقد انحنى على رحله وبدا عليه التواضع الجم حتى كاد عثونه يمس واسطة الرحل ، إن الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثا إلى جوف الحرم ، والفيلق الدارع الذي يحف به ينتظر إشارة منه فلا يبقى بمكة شيء آمن ، إن هذا

الفتح المبين ليذكره بماض طويل الفصول ، كيف خرج مطاردا ؟ وكيف يعود اليوم منصورا مؤيدا . . . ؟ وأي كرامة عظمى حقه الله بها في هذا الصباح الميمون ؟ وكلما استشعر هذه النعماء ازداد لله على راحلته خشوعا وانحناء ، ويبدو أن هناك عواطف أخرى كانت تخبئ في بعض الصدور .

فإن « سعد بن عبادة » زعيم الأوس ، ذكر ما فعل أهل مكة ، وما فرطوا في جنب الله ، ثم شعر بزمام القوة في يده فصاح : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشا .

وبلغت هذه الكلمة مسامع الرسول صلى الله عليه وسلم فقال : بل اليوم يوم تعظم فيه الكعبة . اليوم يوم أعز الله فيه قريشا ، وأمر أن ينزع اللواء من سعد ويدفع إلى ابنه مخافة أن تكون لسعد صولة في الناس .



وسار رسول الله فدخل مكة من أعلاها . وأمر قادة جيشه ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم فدخلت سائر الفرق من أنحاء مكة الأخرى .

ودخل « خالد بن الوليد » من أسفل مكة . وكان هناك نفر من قريش ، غاظهم هذا التسليم ، فتجمعوا عند « الخندمة » يقودهم « عكرمة » بن أبي جهل و « سهيل » بن عمرو ، و « صفوان » ابن أمية ، إلا أن الحقيقة الكبيرة صدمت غرورهم فبددته ، فإن خالدا حصدهم حصدا حتى لاذ القوم بالفرار . ومن طريف ما وقع أن حماس بن خالد من قبيلة بني بكر ، كان قد أعد سلاحا لمقاتلة المسلمين . وكانت امرأته إذا رآته يصلحه ويتعهده تسأله : لماذا تعد ما أرى ؟ فيقول : لمحمد وأصحابه .

وقالت امرأته له يوما : والله ما أرى أنه يقوم لمحمد وصحبه

شيء !

فقال : إني والله لأرجو أن أخدمك بعضهم . . . ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فهالي علة

هذا سلاح كيامل وألة

وذو غرارين سريع السلة

فلما جاء يوم الفتح ناوش حماس هذا شيئا من قتال مع رجال

عكرمة .

ثم أحس بالمشركين يتطايرون من حوله أمام جيش خالد .

فخرج منهزما حتى بلغ بيته فقال لامراته : أغلقتي على

الباب . . !

فقالت المرأة لفارسها المعلم : فأين ما كنت تقول ؟ . فقال -

يعتذر - لها :

إنك لو شهدت يوم الخندمة

إذا فر صفوان وفر عكرمة

وأبويزيد قائم كالمؤتمة

واستقبلتهم بالسيف المسلمة

يقطن كل ساعد وجمجمة .

ضربا فلا يسمع إلا غمغمة

لهم نهيت خلفنا وهممة

لم تنطقي نالوم أدنى كلمة !!

وسكنت مكة . واستسلم ساداتها وابعاعها . وعلت كلمة

الله في جناباتها . ثم نهض رسول الله إلى البيت العتيق فطوف

به وأخذ يكسر الأصنام المصفوفة حوله . ويضربها بقوسه ظهرا

لبطن ، فتقع على الأرض مهشمة متناثرة .

كانت هذه الحجارة - قبل ساعة - آلهة مقدسة . وهي -

الآن - جص وتراب وأنقاض ، يهدمها نبي التوحيد وهو

يقول : « جاء الحق . وزهق الباطل إن الباطل كان

زهوقا . . . »

ثم أمر بالكعبة ففتحت ، فرأى الصور تملؤها ، وفيها صورتان لإبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام ! فقال - ساخطا على المشركين - : قاتلهم الله . والله ما استقسما بها قط . ومحا ذلك كله . حتى إذا طهر المسجد من الأوثان أقبل على قريش وهم صفوف صفوف ، يرقبون قضاءه فيهم . فأمسك بعضادتي الباب - باب الكعبة - وهم تحته ، فقال : لا إله إلا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده .

ثم قال : يا معشر قريش ، ماترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ! قال : فإنى أقول لكم ما قال يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء .

وعندما كان رسول الله بالمسجد يجهز على الوثنية في عاصمتها الكبرى ، اقترب منه « فضالة بن عمير » يريد أن يجد له فرصة ليقتله .

فنظر إليه النبي نظرة عرف بها طويته إلا أنه في غمرة النصر الذي أكرمه الله به ، لم يجد في نفسه على الرجل ، بل استدعاه ثم سأله : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟

قال : لا شيء ! كنت أذكر الله !! فضحك النبي ثم قال : استغفر الله .

وتلطف معه الرسول ، فوضع يده على صدره ، فانصرف الرجل وهو يقول : ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلى منه .

وكانت لفضالة في جاهليته هنات ، فمر - وهو راجع إلى أهله - بامرأة لها معه شأن ، فلما رآته قالت : هلم إلى الحديث ، فانبعث يقول :

قالت :
هلم إلى الحديث ، فقلت : لا
ينأى عليك الله والإسلام
لـمـرأيت محمدا وقبيله
بـالفتح يوم تكسر الأصنام
لـرأيت دين الله أضحى بينا
والشرك يغشى وجهه الإظلام



وهكذا.. دخل أهل مكة في الاسلام

وصعد بلال فوق ظهر الكعبة فأذن للصلاة ، وأنصت أهل مكة للنداء الجديد على آذانهم كأنهم في حلم ، إن هذه الكلمات تقصف في الجوف فتقذف بالرعب في أفئدة الشياطين ، فلا يملكون أمام دويها إلا أن يولوا هاربين ، أو يعودوا مؤمنين . الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر .

هذه الصيحات المؤكدة تذكر الناس بالغاية الأولى من محياهم ، وبالمرجع الحق بعد مماتهم ، فكم ضللت البشر غايات صغيرة أركضتهم على ظهر الأرض ركض الوحوش في البرارى ، واجتذبت انتباههم كله ، فاستغرقوا في السعى وراء الحطام ! وامتلكت عواطفهم كلها ، فالحزن يقتلهم للحرمان ، والفرح يقتلهم بالإمتلاء ، ولم يسفه المرء نفسه بالغيوبة في هذه التوافه ؟

إن صوت الحق يستخرجه من وراء هذه الحجب المتراكمة ، ليلقى في روعه ما كان ينسأه ، وهو تكبير سيد الوجود ورب العالمين ، سيده ومولاه . . . أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله

لقد سقط الشركاء جميعا ، طالما ضرع الناس للوهم ، واعتزوا بالهباء ، وأملوا الخير فيمن لا يملك لنفسه نفعا ، وانتظروا النجدة ممن لا يدفع عن نفسه عدوان ذبابة ، ولم الخبط في هذه المتاهات ؟ إن كان المغفلون يشركون مع الله بعض خلائقه ، أو يؤطونها دونه ، فالمسلمون لا يعرفون إلا الله ربا ، ولا يرون غيره موثلا .

والتوحيد المحض ، هو المنهج العتيد للغاية التي استهدفوها .

ولكن من الأسوة ؟ من الإمام في هذه السبيل ، من الطليعة الهادية المؤنسة ؟ إن المؤذن يستتلي ليذكر الجواب :
أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله .
سيرة هذا الرجل النبيل هي المثل الكامل لكل إنسان يبغى الحياة الصحيحة ، إن محمدا إنسان ، يرسم بسنته الفاضلة السلوك الفريد لمن اعتنق الحق وعاش له .
وهو يهيب بكل ذي عقل أن يقبل على الخير ، وأن ينشط إلى مرضاة ولي أمره وولي نعمته ، فيحث الناس أولا على أداء عبادة ميسورة رقيقة .

حي على الصلاة ، حي على الصلاة .

هذه الصلوات هي لحظات التأمل في ضجيج الدنيا . هي لحظات المآب كلما انحرف الإنسان عن الجادة . هي لحظات الخضوع لله كلما هاج بالمرء النزق ، وطغت على فكره الأثرة فنظر إلى ما حوله ، وكأنه إله صغير . هي لحظات الاستمداد والإلهام .

وما أفقر الإنسان - برغم غروره - إلى من يلهمه الرشد فلا يستحمق ، ويمده بالقوة فلا يعجز ويستكين . . . ثم يحث الناس - أخيرا - على تجنب الخيبة في شئونهم كلها .
والخبية إنما تكون في الجهد الضائع سدى ، في العمل الباطل لأنه خطأ ، سواء كان الخطأ في الأداء ، أو في المقصد . . . وهو يحذر من هذه الخيبة عندما يدعو : حي على الفلاح ، حي على الفلاح .

ويوم يخرج العمل من الإنسان ، وهو صحيح في صورته ونيته ، فقد أفلح ، ولو كان من أعمال الدنيا البحتة ، ألم يعلم

الله نبيه أن يجعل شئون حياته ، بعد نسكه وصلاته خالصة لله ؟

﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

﴿ ١٦٢ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿ ١٦٣ ﴾﴾

(سورة الانعام)

ولا سبيل إلى ذلك الا بإصغار ما عدا الله من غايات ،
والتزام توحيده أبدا ، ومن ثم يعود إلى تقرير الغاية والمنهج ،
مرة أخرى .

الله أكبر الله أكبر . . .

لا إله إلا الله . . .

إن كلمات الأذان تمثل العناوين البارزة لرسالة كبيرة في
الإصلاح ، ولذلك جاء في السنن الثابتة أن المسلم عندما
يسمعها يقول :

اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت
محمدًا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ،
إنك لا تخلف الميعاد .



وفي يوم الفتح قد ترجع بنا الذكريات إلى رجال لم يشهدوا
هذا النصر المبين ، ولم يسمعوا صوت بلال يرن فوق ظهر
الكعبة بشعار التوحيد ، ولم يروا الأصنام مكبوبة على وجوهها
مسواة بالرغام ، ولم يروا عبادها الأقدمين وقد ألقوا السلم
واتجهوا إلى الإسلام .

إنهم قتلوا أوماتوا إبان المعركة الطويلة ، التي نشبت بين
الإيمان والكفر .

ولكن النصر الذي يجني الأحياء ثماره اليوم لهم فيه نصيب
كبير ، وجزاؤهم عليه مكفول عند من لا يظلم مثقال ذرة .

إنه ليس من الضروري أن يشهد كل جندي النتائج الأخيرة للكفاح بين الحق والباطل ، فقد يخترمه الأجل في المراحل الأولى منه ، وقد يصرع في هزيمة عارضة - كما وقع لسيد الشهداء « حمزة » ومن معه - .

والقرآن الكريم ينبه أصحاب الحق إلى أن المعول في الحساب الكامل على الدار الآخرة ، لا على الدار الدنيا ، فهناك الجزاء الأوفى للمؤمنين والكافرين جميعا .

﴿ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تُزَيِّنُكَ بَعْضَ الَّذِي

نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٧)

(سورة عافر)

ودخل رسول الله مكة في رمضان ، وظل بها سائر الشهر يقصر ، ويفطر أكثر من خمسة عشر يوما ، وكان قد خرج من المدينة صائما ثم أفطر هو وصحبه في الطريق .
فلما استقر الأمر ، شرع يبايع الناس على الإسلام ، فجاءه الكبار والصغار والرجال والنساء ، فتمت البيعة على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .



وهكذا دخل أهل مكة في الإسلام ، وإن كان بعضهم بقي على ريبته وجاهليته يتعلق بالأصنام ويستقسم بالأزلام ، وأولئك تركوا الأيام تشفى جهلهم ، وتحبى ما مات من قلوبهم وألبابهم .

ومبادمت الدولة التي تحمى الوثنية وتقاتل دونها قد ذهبت ، فسوف تتلاشى هذه الخرافة من تلقاء نفسها .
إن فتح مكة جاء عقب ضربة خاطفة ، ولقد أفلحت خطة المسلمين في تعمية الأخبار على قريش حتى بوغتوا في عقر

دارهم ، فلم يجدوا مناصا من الاستسلام ، فما استطاعوا
الجلاد ولا استجلاب الأمداد ، وفتح العرب جميعا أعينهم فإذا
هم أمام الأمر الواقع ، حتى خيل إليهم أن النصر معقود بألوية
الإسلام فما ينفك عنها !



الفهرس

في ضوء القرآن الكريم

- ٩ □ الصيام لغة . وشرعا
- ١٤ □ رخصة .. للمريض والمسافر .
- ٢١ □ أول ما نزل من القرآن
- ٢٥ □ حالة .. من حالات ثلاث
- ٣١ □ جانب .. من مظاهر الرحمة
- ٣٧ □ من أحكام الصيام
- ٤٢ □ اختلاف .. المطالع
- ٤٧ □ حكمة مشروعية الصيام
- ٥٣ □ الأعذار المبيحة للفطر

في ضوء السيرة النبوية

- ٦١ □ الصيام الكامل .. والمقبول
- ٦٦ □ صيام التطوع .. أنواع
- ٧٠ □ صيام داود .. افضل
- ٧٦ □ الأيام العشر .. ما هي
- ٨١ □ يوم عاشوراء .. في الجاهلية والاسلام
- ٨٤ □ ليس لرجب .. صيام !!
- ٩٠ □ يوم الجمعة .. ويوم المهرجان
- ٩٥ □ صيام يوم العيد .. حرام

و في ضوء الحديث الشريف

- ١٠١ □ مع غزوة بدر .. لحظة بلحظة
- ١١٠ □ أبو جهل .. والعناد إلى آخر رمق !!
- ١١٧ □ الجوع والعري .. عندما يطول أمدهما !!
- ١٢٢ □ شقة العداوة تقسع . بين المسلمين واليهود
- ١٢٥ □ وجاء .. يوم الفتح الأعظم
- ١٣٠ □ النبي يخرج مطاردا .. ويعود منتصرا !!
- ١٣٨ □ وهكذا .. دخل أهل مكة في الاسلام

رقم الايداع ٣٠٩١ / ١٩٩١
الترقيم الدولي I. S. B. N.
0 - 0110 - 08 - 977

هذا الكتاب :

الصيام ليس تعذيباً للجسد ولا تعطيلاً للعمل ، ولكنه رياضة لها هدف ، وغرس يرجى له ثمار ..

إنه مشقة محدودة لتدريب الانسان على المعنويات العالية، وتعليمه كيف يفعل الخير ويدع الشر ، وكيف يحب الحسن ويكره القبيح .. أو كيف يسارع إلى مرضاة الله تعالى ويفر من مساخطه !!

إنه معركة مبهمة ضد غرائز النفس وشهوات الجسد ، ولكنه خطة واضحة لتزكية القلب ودعم الإيمان ، واحتساب التعب عند الله لا عند أحد من الناس ..

إنه فرصة تطهر أصحابها بالنهار ، كي تعدهم لاستقبال هدايات القرآن في قيام الليل ..

وهذا النوع من التخلية ثم التحلية - كما يقول علماء القلوب - يجعل المسلم أقرب إلى رضوان الله وغفرانه ..

وهذه دراسة عن الصيام وأنواعه وأحكامه وأهم حدثين وقعوا في صدر الإسلام وفي شهر رمضان ، يضعها ثلاثة من كبار علمائنا ومفكرينا في هذا الكتاب الذي تقدمه دار أخبار اليوم .

وهي ترجو الله أن يوفقها إلى الإسهام في نشر الثقافة الإسلامية الرفيعة بين الجماهير العريضة التي تتطلع إلى العلم والمعرفة والنور.